صحفي في حديقة الحيوان

وفأر في قفص الاتهام..!

تأليف: مشاري حمود العميري







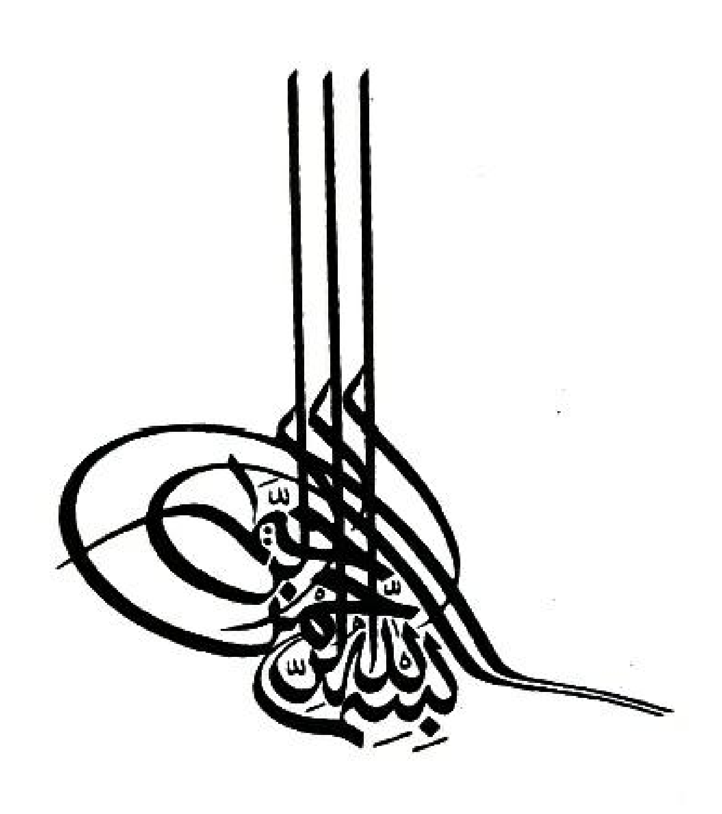
صحفي في حديقة الحيوان

وفأر في قفص الاتهام..!

تأليف: مشاري حمود العميري

الطبعة الأولى
عام ١٤٠٨هـ
عام ١٩٨٧م

الرسومات :
بريشة هاني





الإهـــداء

نهشـة أسـد . . . .

وعضـة كلـب . . .

ورفسـة نعامـة . .

في عجز كل : . . . .

ماركسـي مخـادع . .

شعوبي حاقـد . . .

مائي تافـه . . . . .

متلون زائغ . . . . .

مطاطي ماكـر . . .

وبصراحة أكثـر . .

إلى كل من يحاول أن يجعل الشعب العربي متساويا كأسنان الحمار . .

اهدي ما ذكرت . . !!

المؤلف

مقدمـــة

أولاً وقبل كل شيء ، أود أن أقول في فاتحة كتابي هذا . . بأنني عربي أحب العرب . . ولم أكن يوما أفضل أمة على أمة العرب . . أمة الرسالة الربانية . . أمة محمد بن عبدالله ﷺ . تلك الأمة التي جعلها الله جل في علاه خير أمة اخرجت للناس ، وجعلها كذلك أمة وسطا . . وفيها جميع الصفات الحميدة التي أهلتها لحمل أثقل وأعظم رسالة عرفتها البشرية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

أقول هذا الكلام حتى لا يفهم من سردي لأحداث الكتاب بأنني أحاول أن أطمس معالم هذه الأمة الخيرة أو أقدح في خصائصها الكريمة ، وإنما يجب أن نفرق بين واقع العرب الآن وما آلوا إليه من تخلف بين الأمم وتآخر بسبب تلك الشعارات الزائفة التي ابتليت بها ، والتي ساهمت جدياً في تقهقرنا إلى الوراء ، حتى غدينا بين الأمم . . نقول ولا نفعل نطمح ولا نحقق شيئاً . . نتطلع إلى الأمام وواقعنا يشهد علينا بأننا نرجع إلى الوراء . . ! ولعل السبب في ذلك يرجع إلى عدم احترام بعض الأنظمة العربية للإنسان العربي والرفع من شأنه وشخصيته .

فالإنسان العربي الحر مع الأسف الشديد في معظم دولنا العربية . . .

ليس له وزن إلا في المطارات . . !

وليس له قيمة إلا عند سداد فواتير الكهرباء والماء والتلفون ومخالفات المرور . . !

وليس له ديمقراطية إلا في شعارات وهتافات أحزاب الطغمة الحاكمة . . !

ومن كان له رأي حر صريح . . الآ وكان مكانه السجن والمعتقلات . .

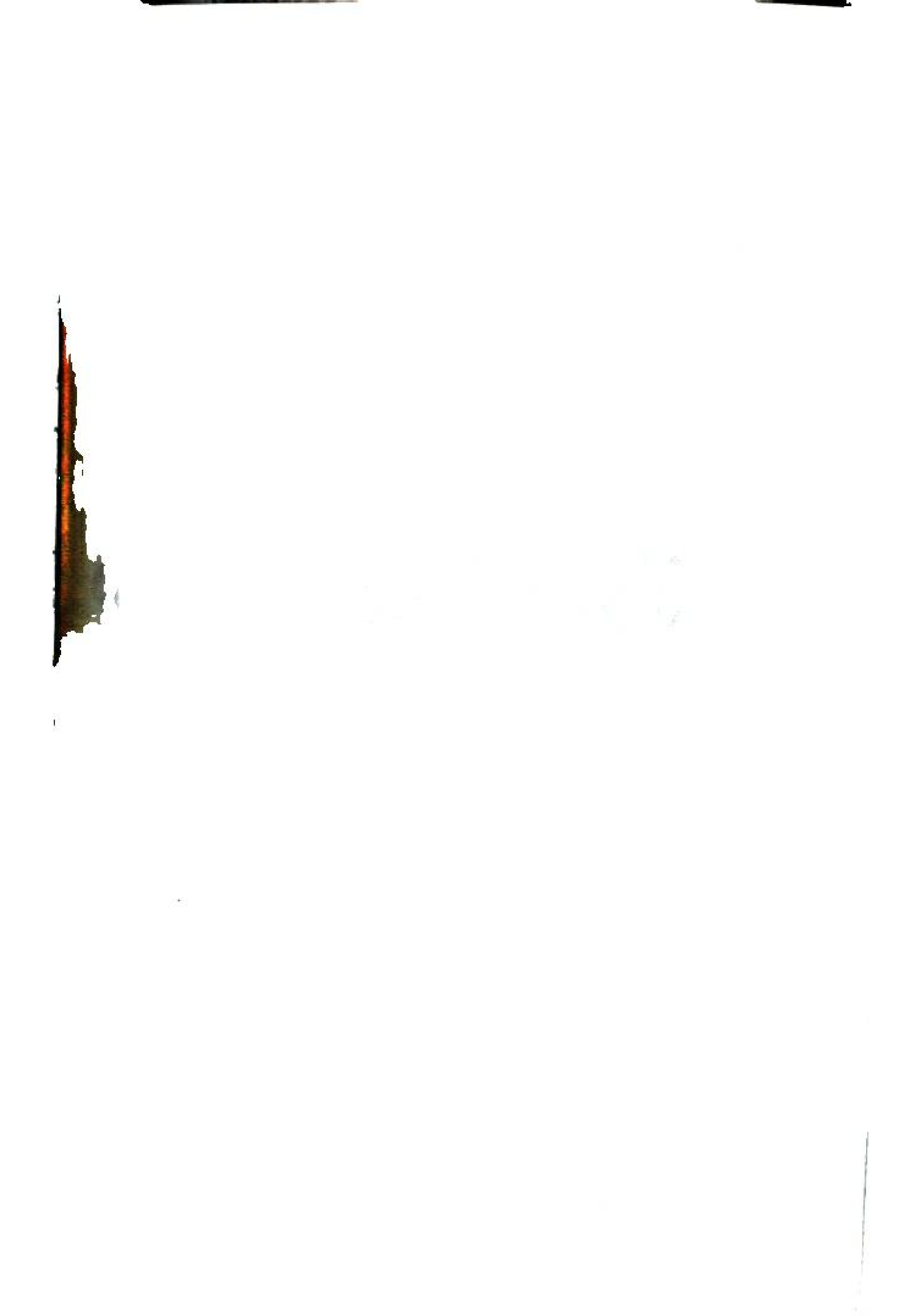
هذه حقيقة واقعة لابد من الاعتراف بها عند مناقشتنا وعرضنا لواقعنا بموضوعية تامة تامة . نعم لابد من الاعتراف وبكل جرءة . . ولنجعلها مدوية في وجوه كل من ساهم في قتل الطموح عند الإنسان العربي الحر . . وأصبغ عليه هذه الصبغة العجيبة الفريدة من نوعها في العالم . ولا تستغرب أيها القارىء العربي الكريم عندما أذكر الأوروبي وكيفية نظرته للحياة واحترام دولته له ولشخصه . . فهذا واقع يجب أن نسلم به . . ويجب أن ننصف أنفسنا عندما نتكلم عنهم وعن احترامهم لكرامة الإنسان في بلدانهم . . فبغض النظر عن مخالفتنا لهم في العقيدة والسلوك الاجتماعي ، إلا أنه يظل الأوروبي له قيمته ووزنه في بلده . فإنه يحترم ولا يخدع أو يضلّل في انتخابات . . ولا في شعارات جوفاء . . ولا في أي شيء يهم بلده إلا وتجد له رأي صريح فيه . وقد صدق الامام محمد عبده حين قال : ذهبت إلى أوروبا فوجدت الإسلام ولم أجد المسلمين .

والذي يعنيه الإمام محمد عبده بالطبع إسلام التعامل . . إسلام احترام الدولة للإنسان نعم هذا ما أردت بيانه وايضاحه حتى لا يخفى . . . والحمد لله رب العالمين قاصم الجبارين ومعز الموحدين والمتقين .

مشاري حمود العميري

١٨/١٠/١٩٨٧ م

صحفي في حديقة الحيوان



فجأة وبدون أية مناسبة ، أو سابق إنذار : أو حتى اتصال . . وجد نفسه الناطق الرسمي باسم الإنسـان العربي . . ومبعـوثاً رسميـاً إلى حديقة الحيوان . .
لكي يجري مع الحيوانات لقاء صحفياً كبيراً . . ! .

دخل الحديقة . . وقد أمسك بيده دفتره المهترىء ، وقلمه المبتلي . . ويدأ يسير وكله رهبة من ذلك اللقاء . . وقد بدى بمشيته تلك كـأحد العيون الساهرة على مصلحة الحيوان . . ! .

أنه مرتبك ، لا يدري ماذا يفعل ، وقد غدى كأحد جواسيس الدول التقدمية بمشيته ونظراته المتعاقبة . . ! .

إلا أن المفاجأة التي شاهدها عند قدومه إلى الحديقة هي . . أن الناس تتوافد على غير العادة . . وتتزاحم أمام الباب الكبير . . .

ثم ما هذِه الكراسي الفاخرة ، وتلك الطاولات الكبيرة التي وضعت عليها الحلويات بجميع أنواعها ، الشاي والقهوة ، ثم هناك لافتة كتب عليهـا : لكبار الشخصيـات فقط وأخرى للدبلومـاسيـين ، وأخـرى للمدعوين . . وبالزاوية للصحفيين ووكـالات الأنباء . . ثم مـا هذه الكـاميـرات وتلك الإضـاءات . . وذلـك الفيـديـو . . وهـذه الميكروفونات ؟ .

فهناك ميكرفون جيب

وميكرفون يد

وميكرفون بعامود

وميكرفون يتدلى من غصن شجرة

وميكرفون على كرسي

وعند الباب .. لافتات كبيرة وزعت على أعمدة النور .. وعلى السور .. وأطفال يتراكضون .. وأصوات الباعة ترتفع رويداً رويداً .. كل يزيد على ما عنده من بضاعة فهو يوم حافل ، بل أنه يوم عظيم ، يمر على تلك البقعة من الأرض ....! .

وبينما هو داخل ... فجأ ..

أصوات تتعالى

هتاف يدوي

موسيقى تعزف

براعم تنشد

طيور تغرد

لقد وصل ..

لا .. لقد قدم مع دفتره المهترىء، وقلمه المبتلي ...

أيادي تمتد إليه .

يصافح هذا . . يبتسم لذاك

يوقع لهذا . . ويقرأ لتلك

يرقي عجوز مقعدة

يمسح على رأس طفلٍ يحضن أمه . .

إلى أن وصل إلى قلب الحديقة . .

ياإلهي . . ما هذه الجموع . . ؟ ولماذا هي هنا . . ؟

أنهم ينظرون إليّ ـ مؤكداً أنهم علموا أنني سأجري حواراً مع الحيوان ، وإلا لماذا يستقبلونني هكذا . . وينظرون إليّ وكأنني زعيم أوحد . . ثم لماذا كل هذه اللافتات والكاميرات والطاولات والكراسي الفاخرة . . والدبلوماسيين وكبار الشخصيات . . . ؟ .

آه . . لقد قرأت عند دخولي الحديقة . . كلاماً على أحدى اللافتات . . وقد كتب عليها ... (اللقاء الكبير)

نعم . . . (اللقــاء الكبــير) . . !!

وأنـا أعلم أني أنا الـذي قررت أخيـراً أن أجري مـع الحيـوانـات اللقاء . .

وفجأة . . الكل صامت . .

لا . . بل الكل ينظر إليه . .

لقد عمّ السكون في جميع أرجاء الحديقة . .

ـ سبحان الله . . ماذا أفعل . . ؟

الكل ينظر إليّ . . يجب أن أتصرف وبسرعة أيضاً . .

ولكن ولكن الحيرة تملأ رأسي . . فإلى أي قفص أتجه . . ؟!

لست أدري . . لست أدري

فكلهم حيوانات . . إلا أن الفارق بينها . . هو الأليف والمفترس . . وهناك الحيوان .

وهنـا الـطير . . لا لا . . الـطير ليس في الحسبـان الآن . . اف اف . . !

وهناك الحيوان الكبير . . والحيوان الصغير . . وصاحب الأنياب وأبو المخالب . . . وراعي الحوافر . . وهناك الماكر . . وهناك الخبيث . . والشجاع والجبان . . والطويل والقصير و و و . . . والمهم . . ! .

وبعد عناء من التفكير . . قرر . . أن يذهب إلى زعيم الغابة . . ومرعب الحديقة ألا وهو الليث . . . !

فاتجه إليه بخطى زاحفة . . وقد خبأ دفتره المهترىء . . كي لا يراه . . فيعلم أن وراءه شيئاً لا يدري ما هي عواقبه . .

وقف بجوار قفصه ينظر إليه بتمعن . . وهو يحاول أن يختار الكلمات التي يريد أن يبدأ حديثه معه . . وبدأ يفكر . . ماذا يقول . . ؟؟؟

قاتل الله العجالة وما تفعل بالإنسان . .

فإني لم أحضر حتى الأسئلة أو كيفية الخروج من الإحراج عند إجابته على أحد اسئلتي وكيفية الرد عليه . .

وبينما هو كذلك . . وفي تلك اللحظات الحرجة المليئة بالحيرة . . إذ بالليث يزأر في وجهه فيوقظه من غفلته وشروده البعيد . .

الليث : ماذا تريد يا هذا . . ؟

الصحفي : أنا . . أنا . . نعم يا « زعيم » . . أنا أريد أن أجرى معك لقاء صحفياً . .

الليث : وما هذه الجموع التي خلفك تتزاحم على الجلوس . . ؟

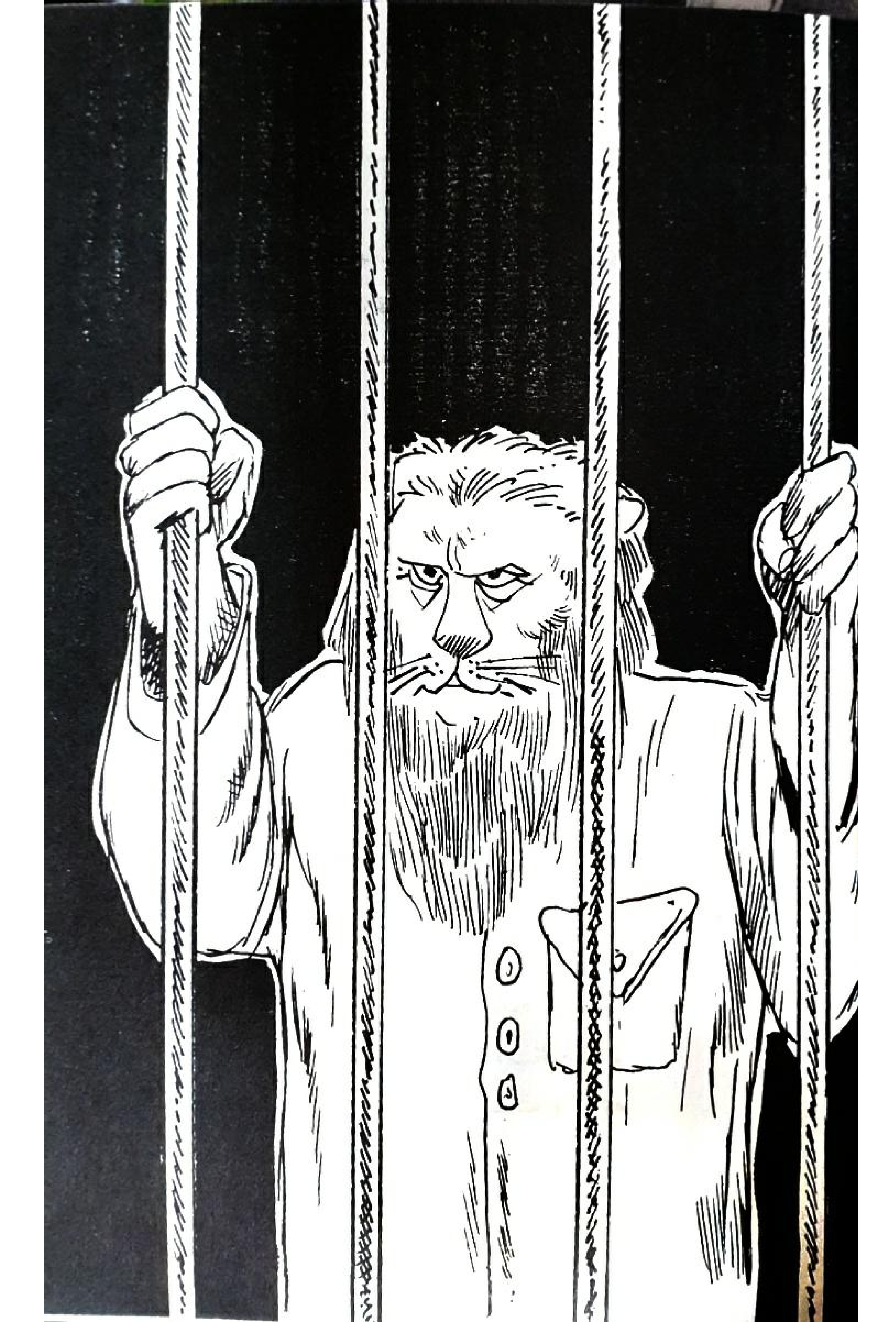
الصحفي : لست أدري يا «زعيم» . . وإن كان على حسب علمي أن العرب لا تجتمع في عهدها الحاضر على خير قط . . ويحسدون كل إنسان جالس حتى ولو كان على كرسي «التواليت» . . . !!!

الليث : إذا تريد أن تجري معي لقاء ، وماذا يفيد اللقاء معي . . وأنتم الذين حبستموني في هذا السجن العفن !!

الصحفي : أرجوك . . يا «زعيم» اعفني من هذا السؤال . . فأنا لا دخل لي في السياسة والسجن والمعتقلات . . فأنا إنسان بسيط . . كبساطة شبليك هذين بالنسبة لك . . . فارجوك كل الرجاء . . أن تعفيني عن الإجابة عن السجن والقفص . . والمعتقلات . . . فلا دخل لي بها . . فإني أخشى أن تكلمت معك عنها ادخلت مكانك في هذا القفص . . !

الليث : إذن ماذا تريد مني ياهذا . . ؟

ألا يكفيكم سجني وأنا «الزعيم» . . وقد تركتم أشباه الرجال خارج السجن يعبثون !!



ألا يكفيكم ترك «الكلاب» تنبح ، و «الذئاب» تعوي . . وأنا أنا داخل السجن والمعتقل ! . . ألا يخجل التقدميون « والصابونيون » الذين عندكم من ترك العراق الأشم يقاتل ويذود عن الكرامة العربية طوال هذه السنوات المتتالية وهم في خندق الأعاجم يقاتلون . . ! !

لا صلح . .

لا اعتراف .

لا مفاوضات مع الانسان العربي . . !

الصحفي : سبحان الله . . هذه لاءات الخرطوم . . إذن أنت سياسي يا «زعيم» . . ؟

الليث : ومحنك كذلك . . !

الصحفي : إذا ستجري معي اللقاء يا « زعيم » . . ؟

الليث : منذ لحظات كنت تقول لا دخل لك بالسياسة . . والآن تقول ستجري معي اللقاء . . أما أنك غريب ياهذا . . . !

الصحفي : نعم نعم يا « زعيم » فأنا لا دخل لي بسجنك ومعتقلك فهذه قرارات قد قضى الأمر بها . . أما عن الجوانب الأخرى في حياتك . . فهي التي تهم هؤلاء (مشيراً إلى الجلوس) . لاوالعالم أجمع ..!

الليث : طيب ياصحفي .. عن ماذا تريد أن نتكلم ..؟

الصحفي : عن الحب ..

الليث : كذاب .. لا أحد يحب أحداً عندكم ...

الصحفي : عن الصحافة العربية .. مثلا ..

الليث : لا أحد يستطيع قراءتها حتى يفهمها فيصدقها ...!!

الصحفي : عن البرلمانات العربية ..؟

الليث : لا أحد يثق بنزاهة انتخاباتها ...!

الصحفي : عن الديمقراطية ..

الليث : قصدك الديمقراطية العربية ..

الصحفي : أي نعم يا « زعيم » ...

الليث : إذا .. عندما تريد أن تذكر الديمقراطية .. فاتبعها بالعربية حتى تميزها عن غيرها للاحتراز لا أكثر ..

الصحفي : طيب الديمقراطية العربية ..

الليث : نعم تلك التي جعلت الأسود في السجون و « ... » خارجها يعبثون في الأرض فساداً ...!

الصحفي : رجاء رجاء يا « زعيم » . . لا نريـد أن نتعمق أكثر . . .

الليث : هذا والله ما عنـدي . . وأن لم يروق لـك . . فإبحث عن غيري . . . !

الصحفي : طيب آخر سؤال لو سمح لي سيادة « الزعيم » . . ما رأيك . . في هذه الحديقـة التي أنت فيها . . طبعا كل شيء متوفر ، خدم وحشم . . أكل مياه عذبة . . . وموسيقى هادئة . . وإضاءة ممتازة . . وهواء عليل و و . . . . الخ . . ؟

الليث : الحقيقة ياسيد صحفي ، أتعرف الشيء الوحيد الذي ينقص هذه الحديقة حتى تكتمل . . ؟

الصحفي : وما هو يا « زعيم » . . ؟

الليث : أن تخرج هذه الحيوانات من أقفاصها . . وتأتي ببعض ممن ابتليت بهم أمـة العـرب لتضعهـم مكانها . . . !! .

ضج الحضور . . واستنكر أحد مندوبي وكالة أنباء عربية تقدمية . . وسجل أحد الدبلوماسيين العرب اعتراضه . . وظهر بين الحضور رجل صاحب معطف بني وعليه « نظارة سوداء » . . ! وبين يـديه ومعـطفه

هراوة عظيمة وما أن نظر إلى الحضور حتى عاد الصمت إلى الحديقة مرة أخرى . . ! إلا أن « الزعيم » رفع ذيله ودخل عرينه . . وهو يسير مختالا دون أن يكترث باحد . . . .

وفي أثناء ذلك الصمت الرهيب ، جلس الرجل صاحب النظارة السوداء والمعطف البني والهراوة العظيمة بجانب دبلوماسي أوروبي كي يأخذ أنفاسه من اللف بين الجلوس . . إلا أن الأوروبي أخذه التطفل والبراءة في السؤال . .

فقال مخاطبا الرجل العربي . .

الأوروبي : من يكون حضرة (المستر) . . ؟

العربي : طول لساني ، وقلة حيلتي . . يخبرانك يا « أفندي » عن هويتي . . ؟

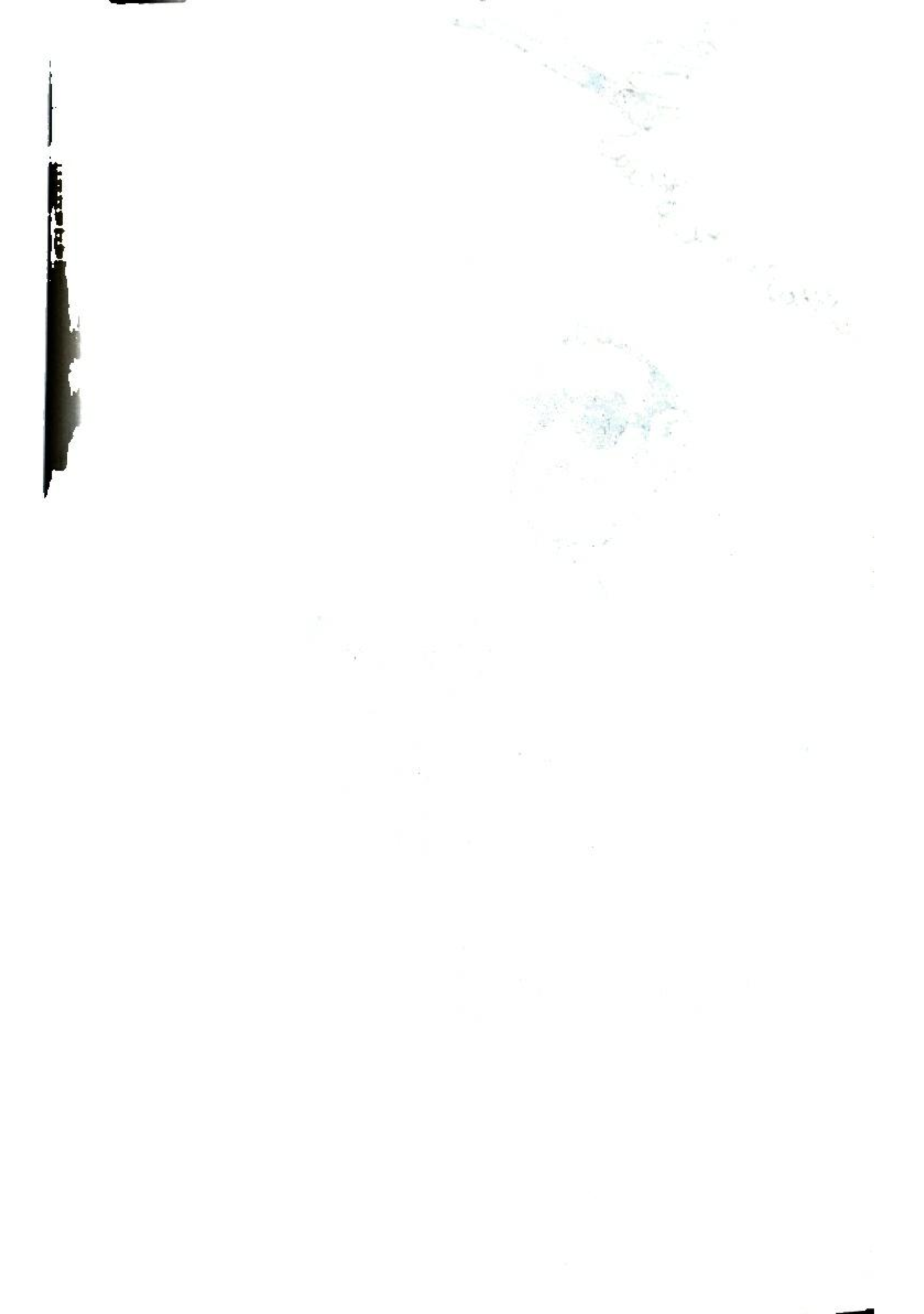
الأوروبي : إذن . . أنت عربي . . ؟

العربي : نعم . . وابن ابن عربي أيضاً . .

الأوروبي : الآن أصبح شكي يقيناً . .

العربي : ماذا تقصد بذلك ياهذا . . ؟

الأوروبي : لأنكم الوحيدون على هذه الأرض ، كلامكم أكثر بكثير من أفعالكم . .



العربي (غاضبا) : لا والله ياسيد (مستر) . . لقد اخطأت بظنك
هذا . . فإن لنا أفعالاً كبيرة وعظيمة . .
نحن الذين جاهدنا الاستعمار حتى طردناه
و (استقلينا منه تماما) . .
ونحن الذين بنينا السدود . . !
ونحن الذين شققنا طريقنا (للعبور) . .
ونحن الذين جاهدنا اسرائيل (بالتي هي أحسن) .
ونحن الذين تكلمنا وكتبنا وبكينا ثم شجينا . .
ونحن الذين بعد كل ذلك (وقعنا) و (اتفقنا) . ! !
باختصار شديد :

نحن (اللذون) صبحوا الصباحا
يوم النخيل غارة ملحاحا

الأوروبي : وماذا تبقى لكم من أفعال . . ؟

العربي : الكرم . .

الأوروبي : تقصد إكرام الضيف ؟؟

العربي : طبعاً طبعاً . .
فنحن إذا ما جاءنا الضيف . . فإننا نضع له على
المائدة أولاً : (المقبلات) . . تبولة . . فتوش . .
حمص ، ورق عنب ، بابا غنوج ، لبنة ، باذنجان
مسقعة ، فاصوليا بالزيت ، مجدرة عدس ،

باذنجان بـاللبن ، شنكليش ، جبنة خضـراء ، مجدرة مصافية ، زيتون أخضر ، زيتون أسود ، كبيس ، فول ، سناسل ، نخاعات ، لسانات ، كبة نية ، كبة محشية ، بسطرما ، قصبة سوداء ، لوبيا خضراء ، أرضي شوكي ، خضار مشكل ، سلطة بطاطا ، سردين . . . . ! !

الأوروبي : كفى ، كفى يـا (مستر) مـا هـذه الأكـلات العجيبة . . ؟ أكل هذا كرمكم . . . ؟

العربي : هذه فقط (القبلات) عفوا عفوا (المقبلات) . . ولم ندخل في الجد بعد . . ! !

الأوروبي : نحن عندما نكرم الضيف الزائر . . فإننا ندخل في الجد ابتداء . . !

العربي : وكيف . . ؟

الأوروبي : أولاً : أعلم أن ضيوفنا إذا ما قدموا إلينا . . فإننا نقدم لهم آخر صرعات علوم العقل والفكر . . نقدم لهم من (الطيران) المقاتل مثلا : الميراج ، الجاكوار ، فالكون ، هارير ، ومن (الهليكوبتر) نقـدم لهم كذلـك : الغزال الفـرنسية ، البومة حـائلة الجنود . . ومن (الـدبـابـات) نقـدم لهم

كـذلـك : الشيفتن (الانكليـزيـة) ، الليـوبـارد (الألمـانية) ، اسكـوربيون (الانكليـزيـة). ومن (الرشاشات) نقدم لهم كذلك : (استند) مضاد الدروع (كارل غوستاف). . . .

وباختصار : نقدم لهم كل مـا هو ضـروري وعصري في زمننا الحاضر هذا

العربي : أيوجد عندك صور لهذه (الوجبات) الغربية . . ياسيد (مستر). . ؟

الأوروبي : هذه الأسلحة تعرض دوما وتبث لدول العالم أجمع عبـر الأقمار الصنـاعية فتـظهر عـلى (شـاشـات التلفـزيون) عنـدهم . . ألم تشاهـد تلك التقنية الحـديثة عـلى (شاشـة التلفـزيـون) عنـدكم يـا (مستر). . ؟

العربي : لا ، لا فـقط نـشــاهــد في بـلادنـا عــلى (الشاشة). . . .

(وحش الشاشة العربية) . . . !

(دلوعة الشاشة العربية) . . . !

(فتى الشاشة العربية) . . . !

(مطرب الشاشة العربية) . . . !

الأوروبي : والعقول العربية . . أين هي . . ؟

العربي : أما العقول العربية هذه التي تسأل عنها ياسيد (مستر) فهي تظهـر على (شـاشات) المـراقبة في السجون العربية . . . ! .

ضج الحضور من سماع ذلك اللقاء وما حواه من معاني . . وبعد اعتراض وقبول متباين بين الجلوس . . هدأ الحضور وصمتوا بعد أن استطاع الصحفي أن يسجل حوار الدبلوماسي الأوروبي مع صاحب المعطف البني . .

عاد السؤال الحائر إليه مرة أخرى وهـو إلى أي قفص يذهب ؟ . . (وبدا يخاطب نفسـه) قاتـل الله الإرباك ومـا يفعله بالانسـان . . لقد احترت والله ماذا أفعل . . فقد كان حديث الدبلوماسي الأوروبي مع صاحب المعطف هو تحول خطير بالنسبة لي الآن . . فيجب أن انتقي كل شيء بدقة وحذر . . ولكن إلى أي حيوان اذهب هذا هو السؤال . . ولا عليّ من الدبلومـاسي الأوروبي أو غيره ولا لي أي دخـل في شاشـات تلفـزيونـات العرب جمعـاء . . إن الذي عـلي فقط أن أجـرى اللقـاء والسلام . . صلحت التلفزيونات أو خـربت تحطم (عـرب سات) أو أصبح (عرب فات فات . . في ذيله سبع لفات) . . المهم المهم اللقاء

الآن . . ولكن يا إلهي إلى من أذهب وإلى أي قفص اتجه . . ؟ (وبينما هو في حيرته . . إذا به يقرب من قفص النعامة التي كانت قد وضعت رأسها في التراب . . هنا تبسم الصحفي حتى بدت نواجذه وذهب إليها مستبشرا . .

فقال :

ألا أخرجت رأسها من في الخدور وأطلت
وأسفرت في مطلعها كل الظلام وتجلت

فانتبهت النعامة لقول الصحفي وأخرجت رأسها وكأنها مستنكرة . . فولت عنه بعيداً نفره . . !

فنادها الصحفي : ألا اقبلت أيتها النعامة . . حتى لا يصدق فيك المثل القائل (اشردُ من نعامة) فقربت النعامة إليه في حذر . . وقالت : من لا يصدّق هذا المثل أيها العربي . . ومن قاله غيركم . . وهل بقي شيء لم تقولوه في الحيوان أو الطير وفي أنفسكم . .

الصحفي : مهلا مهلا أيتها النعامة . .

النعامة : ماذا تريد هيا . . فقد قطعت علي تفكيري منذ لحظات . .

الصحفي : وأي تفكير هذا الذي تتحدثين عنه . . أفي إنغماس رأسك في التراب هو التفكير الذي تعنينه يانعامة ؟

النعامة : أنا الذي أقول لك مهلا وتلطفا أيها الرجل . . فقبل الحديث معي أخبرني من أنت وماذا تريد . . فهذه أول مرة أخاطب بها إنسان عربي ، فقد كنت بهذه الحديقة مجرد نعامة ضخمة جلبت من بين أهلي وعشيرتي كي أضع بينكم للفرجة لا غير . . أما أن أخاطب أحد فهذا مستحيل

الصحفي : ولكنك الآن تخاطبينني . .؟ فأنا صحفي جئت إلى الحديقة كي أجرى معكم حديثاً شيقاً أنقله بطريقتي الخاصة للناس خارج الحديقة فيعلم حقيقة أمركم وحياتكم على السواء

النعامة : والآن ماذا تريد مني . .

الصحفي : أريد منك التحدث معي عن كل شيء . .

النعامة (في ازدراء) : عن كل شيء . . وهل بقي شيء لم يفعله الإنسان بنا حتى تأتينا أنت لتسألني عن كل شيء . .

الصحفي : أرجوك يا نعامة احسني الظن بي فقد جئت والله للتحدث معكم معشر الحيوان والطيور حتى أنقل بكل صدق وإخلاص ما تشعرون به وما تتحسسونه من مشاعر وآلام . .

النعامة : إذا كان هدفك هذا فاسال الآن ما شئت .

الصحفي : أولاً وقبل كل شيء . . في نفسي سؤال أريد أن تجاوبينني عليه وبصراحة لأنني حقيقة احترت في أمري فيه لا بل قد أصبح مثالا عندنا معشر العرب . .

النعامة : وما هو هذا السؤال الذي احتار به العرب . . وإن كانت الحقيقة أننا نحن الذين احترنا فيكم وفي وضعكم وحالكم على حد سواء . .

الصحفي : مقبول منك هذا الكلام . .

النعامة : ارجوك اسأل ولا تضيع وقتي .

الصحفي : سؤالي عن سبب إدخال رأسك في الأرض واظهار جسدك الضخم خارجاً فما هي الحكمة من ذلك ؟؟

النعامة : فقط هذا السؤال الذي احترتم أيها العرب فيه . .

الصحفي : نعم احترنا فيه ولا نجد له تفسيرا دقيقاً يشفي الغليل . .

النعامة : اني أسألك سؤالا وأريد منك الجواب الصريح عليه . ؟

الصحفي : تفضلي اسالي وإن كان سؤالي لا زال قائماً . .

النعامة : من الذي أعطاه الله العقل وكلفه التكليف بالعبادة والطاعة وفرض عليه الفرائض كلها وجعله خليفته الله في أرضه . ؟

الصحفي : الإنسان طبعاً . .

النعامة : إذا ما بالكم أيها العرب احترتم في أمري وفي سبب إدخال رأسي في الأرض وأنا النعامة المسكينة المعدمة ، الغير مكلفة بشيء ولم تنظروا إلى أنفسكم وقد دخلتم بأكملكم في الوحل ولا زلتم فيه تغوصون . . ! وجوابكم الوحيد أنكم تبحثون عن الذات . . !!

أصوات تتعالى احتجاج من وفد تقدمي .. صاحب المعطف يقف من مكانة ويتقدم إلى قفص النعامة مع هراوته الضخمة ..

الصحفي : ماذا قلت أيتها النعامة ..

النعامة : قلت الصراحة .. التي لم يتجرأ أحد منكم أن يقولها .. فأي ذات تبحثون عنه في الوحل هذا وشعوبكم مغلوب على أمـرها .. تكلم أني أنـا الذي أسألك . ؟

الصحفي : ولكن لم تجيبيني على سؤالي الذي لازال قائماً .. لماذا تدخل النعامة رأسها التراب وجسدها بادي للورى . ؟

النعامة : لأن راسي فيه عيني واذني وفمي ..

الصحفي : وما الحكمة من ذلك . ؟

النعامة : عيني حتى لا أراكم وأنتم في هذه الحالة ..

الصحفي : أي حالة يانعامة فنحن بخير والحمد الله .

النعامة : أنت تسأل عن أي حال . ؟ حالة بعض العرب الذين تركوا العراق يقاتل وهم يتفرجون مكتوفي الأيدي .. لا بل ويساعدون أعداء العرب جهاراً نهاراً ..

وأذني حتى لا أسمع التآمر العربي على العربي . .
وفمي حتى لا أفقد رشدي واعظ كل عربي يزعم
أنه تقدمي . . وهو بالحقيقة تأخري لا قدوم فيه
ولا هم يحزنون . . . !

بدا الصحفي يمسح عرقه الذي انهمر وقبل أن يرد على النعامة اذا بصوت صاحب المعطف البني والنظارة السوداء يقول لأحد اتباعه . .

صاحب المعطف : هذه النعامة الجميلة سنكافىء بها الزعيم الأوحد والقائد المبجل . . فقد تم اختيار ريشها الناعم الطيب لوسادته في دار نومه الجديدة . .

النعامة (في ازدراء) : اكتب يا صحفي عندك هذا الكلام وسجل للتاريخ العربي وللعرب الذين احتاروا في أمري . . هذا ما جنى على راسي حين اخرجته من حفرته بالأرض . . !!

هتافات بين الحضور لوفود عربية تقدمية . . مؤيدة أخذ ريش النعامة لوسادة الزعيم الأوحد . ! احتجاج من وفد دبلوماسي أوروبي للحادث الأليم عندما أبرقوا ببرقية إلى جمعية الرفق بالحيوان وبين الهتافات والاحتجاج . . قرب الصحفي من قفص (الغزلان) الجميلة إلا أنه انتفض من مكانه كمن لسعته حية . . هنا وفي هذه اللحظة الملفتة للنظر صمت الجميع للموقف الغريب لذلك الصحفي . . .

الكل صامت . .

الكل ينظر إلى الصحفي المفزوع . .

لماذا لا يتقدم إلى الغزلان ليتحدث معها . ؟

إنه لازال متصلباً لا حراك فيه . . !

وبعد لحظات بدأت أنفاسه ترجع إليه الهويني الهويني . . ثم أبدى نأسفه للحضور لعدم استطاعته أن يتحدث مع الغزلان . . .

وبين الاحتجاج والبحث عن السبب المقنع في الامتناع . . أخرج الصحفي ورقة من جيبه كان قد قرأها منذ زمن في احدى الجرائد اليومية . . وقال مخاطبا الجميع . .

أن سبب عدم محادثني مع الغزلان هو أمر خارج عن إرادتي ولو سمح لي الحضور أن أقرأ عليه هذه القصاصة التي أحملها في جيبي أينما كنت . .

بدأ الحضور يتهامسون عن ماهية هذه القصاصة التي أخرجها الصحفي من جيبه . . وما هي إلا لحظات حتى اقترب الصحفي من احدى (الميكروفونات) وبدأ بقراءة القصاصة على الحضور فقال :

اسم عنوان الموضوع أيها السادة الأفاضل والدبلوماسيين الأماجد والصحفيين المحترمين .

(كليلة وغزلان الجزيرة)

---

* مقال نشر لنا في جريدة الرأي العام سنة ١٩٨٥ م .

وهي قصة عجيبة قرأتها ولازالت تؤثر بي حتى هذه الساعة . .

احد الحضور منادياً . . وما هي يا صحفي لقد أطلت علينا ما زعمت أنك تريد الحديث به . .

الصحفي يهز رأسه بالايجاب . . ثم شرع في القراءة (كليلة وغزلان الجزيرة) .

قال كليلة ذات يوم وهو يحدث أخاه دمنة . . والأسي يأكل جانبيه : ألم تعلم يـا ابن أمي أن الحياة بهـا منْ المواعظ مـا يعجز العـاقل عن حصرها ، فالعاقل لابد أن يتدبر من أحداث الزمان وأسطر التاريخ . . ولا يستقيم عقل عاقل ما لم يستفد من تجارب الحياة هذه ، فـإن محل العقل عند العاقل . . هو الادراك ، وأعلم أن ترجمان ذلك الادراك هو الاحساس بما يشاهد في عصره وعهده . . بل العهود السالفة أيضاً . . ليترجمها ترجمة المتدبر المتعظ . .

وإن رأيت يـا ابن أمي في هذا الـزمان عـاقلا يصـارع الشهـوات والمصالح الذاتية ، ويدفع بها خارج إطار فكره ، ويحصرها في جانب محدود في ذات نفسه ، ولا يدع للذات الجامحة مكاناً للسيطرة على هواه وعقله ، فأعلم أنه بهـذا قد ملك زمـام نفسه . . فهـو يعرف بـذلك قوتها . . ومواطن ضعفها فلا تجتمع ما دامت حكمتها وزمام أمرها ملكا بين يديه .





وهذا ما فعله حكيم غزلان الجزيرة يا دمنة !

قال دمنة : وما خبر حكيم غزلان الجزيرة ياكليلة ؟

قال كليلة : زعموا أن غزلانا قدمت إلى أرض مقفرة لا نبت فيها ولا عشب بين جانبيها يحويها . . وإنما كانت تلك الأرض قـاحلة منفـرة . . إلا من الشيء القليل . . والندر اليسير من الكلأ الموسمي الذي يتناثر في جنباتها . . وقد زهدها كل من مر بها من الدواب والطير . . لقلة الزاد والموعى والماء . . إلا أن تلك الغزلان يا دمنة كانت قانعة بما وجدت في تلك الأرض ، فاطمأنت واستقرت فيها . .

إلا أن الأيـام دارت ، والسنين طـويت . . وطوت معهـا أحداث وتاريخ تلك الغزلان الجميلة البسيطة . . التي استطاعت بقلتها وزهد ما بين يديها من زاد أن تصبر على عنت العيش وقسوة الحياة ومصائبها . . فقد أنعم الله جلت حكمته على تلك الأرض بالخير الوافر . . فتفجرت العيـون من الحجارة الصـماء ، وسالت الميـاه بين شقـوق الأرض . . فأملأت الوديان . . ونبتت الأشجار وكثر الكلأ والعشب . . والخير في جميع ارجاء تلك الأرض . .

هنا يادمنة . . وقبل أن تفتن الغزلان بتلك النعمة الوافرة ، والخير

الذي تفجر . . ذهب حكيم الغزلان الموصوف بالحكمة والعقل إلى جماعته ناصحا فقال : يا معشر الغزلان . . هذه أرضكم ومنبع خيركم ، وقد صبر أباؤكم وأجدادكم على عنت العيش وقسوته فيها . . وقد لاقى الضراء قبل السراء فيها . . فلا تحرقوا بأيديكم ما أنعم الله عليكم من رزق وافر . . جاء بعد فقر ماحق . . وهذا الرزق معدود محدود . . فهو (كالبيض المعدود في الجراب المشدود) فلا تجعلوا التسيب في أرضكم شعاراً لكم . . ولا تفقدوا بهذه الحيوانات هوية أبنائكم . . فإن هذه تذكرة . . واللبيب من اتعظ . . عند النصح . . وجعل الحكمة ضالته . . فإن وجدها فهو أحق بأن يتبعها ويأخذ بها .

إلا أن احداً لم يسمع له كلمة . . بل راحت في غيها تعمه . . وفي ترفها تمرح . . وقد تركت أرضها يعبث الغريب ويدمر ما صلح منها . . دون أن يرى في المقابل حراكا من جماعته . . أو إحساساً ومراعاة لباقي غزلان الجزيرة . . المسالمة !

بل أنها انتفضت وقالت : إنما أتيناه على علم منا . . وبأيدينا . . وبقوتنا . . وهذه نتائج صبرنا وتعبنا ، فما لك ولنا . . ودعنا في حالنا . . نرتع كيفما شئنا . . وبأي طريقة أردنا !!

أما تلك الحيوانات القادمة إلينا . . فهي اخواننا وهي ترجع في الأصل والخلقة لنا . . فلا تفتن بيننا . . واتركنا في حال سبيلنا !

فطربت (الحيوانات) على أثر ذلك الرد على حكيم الغزلان .. لهوا ولعبا .. ثم انغمست في غيها وغطرستها لاهية لاعبة ، وفي تلك الغمرة والنشوة يادمنة .. انفلت زمام الأمر في أرض الغزلان .. بسبب تكاثر أجناس الحيوان .. فاختلط الحابل بالنابل .. وتفشى بينها الخبث .. وضاعت كثير من قيمها وعاداتها .. وأتت بكثير من عادات أخبات الحيوانات وأغدرها .. وأصبح هم كثير من الغزلان طيب المرتع الذي يرتع فيه .. غير عابىء بمن حوله من مفترس الحيوان ودنسه .

قال دمنة : وماذا جرى بعد ذلك لغزلان الجزيرة يا كليلة ؟!

قال كليلة : فلم يفرق احد بأرض الغزلان بين معزة وغزال .. أو بين تيس وظبي أرن .. أو بين شاه وخنزير ولا بين كلب وذئب .. فاختلطت الحيوانات بعضها ببعض .. وهل يتجانس الذئب والغزال أو الشاه مع الخنزير يادمنة ؟

ولكن هذا ما حصل في جزيرة الغزلان يادمنة .

فارادت بعد ذلك أن تعيد ترتيب أرضها واستقرار أمنها .. ولكن الأمر أصبح خارجا عن استطاعتها ؟! بعدما تركها من أكل من خيرها في عهدها الزاهر الأول .. وبعد أن احتاط وكدس عدته ثم رحل ! فبقيت الحيوانات تفترس بعضها البعض .. إلى أن دارت على كثير من غزلان

الجزيرة . . تفترسها تأكل من لحمها .

فعادت يادمنة جزيرة الغزلان إلى عهدها القديم الأول . . أرضا مقفرة وموحشة منفرة . . ولكن بدمار واندثار لم يسجل التاريخ مثله . . وذلك يرجع يادمنة . . لمن لا يأخذ بالنصح والارشاد . . ومن تساهل في دخول أجناس تختلف تماما عن جماعته . . وجعل من (التوازن) بزعمه شعارا له . . ولا يضع قيمة لاختلاف تلك الأجناس في أرض واحدة !

وبعد أن انتهى الصحفي من قراءة القصاصة التي بيده والتي أثرت ببعض الحضور والبعض الآخر لم يكترث لما جاء فيها من معاني . . استدرك الصحفي الوضع وبدا بين الحضور يفكر بما قال في قصته إلا أنه تدارك الوضع وقال مخاطبا نفسه : المهم المهم . ـ إلى من أذهب الآن . . ومن هي الشخصية الحيوانية التي اتجه إليها . . . ؟

بدأ يفكر . . ويقلب ما في ذهنه من (شخصيات) . . إلا أنه من خلال صمته . . سمع هاتفا يهتف به قائلا : القرد . . القرد . . يا صحفي . . . . ؟

نعم القرد . . فهو الحيوان الأليف اللطيف الهادىء . . نعم نعم هو الذي سيثري معي اللقاء فالقرد لا أظن تفكيره سينحرف به عن الموز واللوز والجوز . . . !

الصحفي : تسمح لي ياقرد أن أجري معك لقاء صحفياً . . ؟

القرد : وماذا تستفيد من هذا اللقاء ياسيدي . . ؟

الصحفي : حتى انقله للناس . . فيعرفون مما تشكو . . وماذا تريد . . ؟

القرد : ولكن ألا تعلم أن الحديث معي له ضريبة . . ؟

الصحفي : ضريبة . . وما هي هذه الضريبة ياقرد . . ؟؟

القرد : ضريبة الحديث ياسيدي . . بأن تعطيني ثلاث حبات من اللوز . . . أو «السبال» . . .

ـ فمد الصحفي يده . . وأخرج منها ثلاث حبات من « السبال » . . فألقاها إليه . . إلا أنها سقطت على الأرض . . فأخذها القرد بسرعة خاطفة . . ولكن الغريب أنه بدأ يمسحها بجلده ومن ثم التهمها جميعا . .

الصحفي : (مستغربا لفعل القرد) : ولماذا تمسحها ياقرد . . ؟

القرد : لأنها اتسخت من الأرض . .

الصحفي (ضاحكا) : لقد ذكرتني ياقرد والله بحادثة الأعرابي مع أبي الأسود الدؤلي* . .

---

* ذكرها الاصفهاني في كتاب الاغاني ج ١٢ ص ٢٠٤

القرد : وما هي تلك الحادثة ياسيدي الصحفي . . ؟

الصحفي : عندما كان أبو الأسود الدؤلي جالسا في دهاليزه وبين يديه رطب ، فمر به رجل من الأعراب يسأله أن يطعمه مما يأكل . . . فالقى إليه أبو الأسود الدؤلي ثلاث رطبات ، فوقعت احداهن في التراب . . فأخذها الأعرابي يمسحها بثوبه . . .

فقال له أبو الأسود : دعها فإن الذي تمسحها منه أنظف من الذي تمسحها به . .

فقال الأعرابي : إنما كرهت أن أدعها للشيطان . . !

قال أبو الأسود الدؤلي : : لا ولا لجبريل وميكائيل تدعها . . . ؟

- فبدأ الصحفي يضحك . . إلا أن القرد ظل يمضغ ما بين فكيه غير عابىء بما قال الصحفي . . .

الصحفي : لنبدأ الحوار . . .

القرد : تفضل . . فكلي آذان لك تسمع . . هيا

الصحفي : ما رأيك في السعادة ياقرد . . ؟ وبأي شيء تفسرها . . ؟



القرد : السعادة عندي . . أن يبتعد الإنسان عني ولا يكلمني . . نعم يدعني وحالي . . ولا يجعلني أضحوكة له ولأبنائه لا غير . . فإن الله لم يخلقنا لذلك . . !

أما تفسير السعادة . . فإننا لم نر من الإنسان سعادة . . حتى نستطيع تفسيرها . . وكان المفروض أن تسألني عن الشقاء وتفسيره . .

الصحفي : (يهز رأسه مستفسرا) : وكيف ذلك . . ؟

القرد : نعم ياسيدي . . فالإنسان لم يكتف فقط بالتنكيل وجلب الشقاء على بني جنسه . . بل أنه نكل في غيره . . وهذه الحديقة أمامك تشهد على ذلك . .

الصحفي : طيب طيب . . ما رأيك . . . ؟

القرد : (مقاطعا) : لا رأيي ولا رأيك . . أخبرني ما هي أخبار الماركسيين عندكم ؟

الصحفي(مستغربا) : وما دخلك أنت بالماركسيين ياقرد . . ؟

القرد : لأنهم المتحمسون لنظرية داروين* . . . ؟

الصحفي : وماذا تقصد . . . ؟

---

* **نلمس في الكتب** الماركسية تجاوباً غريباً بين الداروينية والماركسية ، ولا تمر مناسبة إلا وتجد فيها ثناء عجيباً على داروين يقول ليزنكو « يرى انجلز أن هناك ثلاث كشوف اتاحت للمعرفة البشرية عن ترابط العمليات الطبيعية أن تتقدم بقفزات واسعة . وهي أولاً اكتشاف الخلية ، ثانياً اكتشاف تحول الطاقة ، وثالثاً البرهان الذي كان داروين أول من استخلصه بشكل متماسك ، وهو أن كافة النواتج العضوية التي تحيط بنا اليومم ، إنما هي نتيجة عملية طويلة من التطور بدأت أولاً بعدد قليل من الجراثيم وحيدة الخلية . وأما هذه بدورها قد نشأت ممن البروتوبلازم والزلاليات التي ظهرت على الوجود بوسائل كيميائية » انتهى . ويذكر ستالين قول انجلز «ينبغي أن نذكر بالدرجة الأولى داروين الذي وجه ضربة قاسية للفهم الميتافيزيقي للطبيعة ، بإثباته أن العالم بأسره ليس كما هو موجود اليوم » كتاب المادية الديالكتيكية . ويقول ليخانوف « مثلاً الإنسان مجهز باليد . . . صحيح أن أقرباءه ذوي الأيدي الأربع يمتلكون الأيدي أيضاً . . ولكن أيدي القردة أقل تكيفامع الأعمال المتنوعة . . . فاليدهي الأداة التي استخدمها الإنسان من أجل الوجود كما يبين لنا ذلك داروين » في كتاب «المفهوم المادي للتاريخ » .

وكذلك : السرّ في حماس الماركسية لنظرية داروين ، هو أن هذه النظرية تتخذ ذريعة لتأييد نظرية التوالد الذاتي ، لأن الماركسية تريد انكار الخالق وإبعاد أثره عن الحياة ، ولكن الأنواع الهائلة العديدة تقوم عقبة دون ذلك فقامت نظرية التطور بإرجاعها إلى أصل واحد . « فكان ظهور مذهب داروين من الأسباب التي ساقت العلماء إلى البحث في إمكان تولد الحي من غير الحي » فسهلت بذلك الادعاء القائل أن هذا الأصل الواحد قد تكون بطريقة التولد الذاتي . إن العلماء قد أثبتوا خطأ نظرية التولد الذاتي بواسطة المجهر الذي اتضح بواسطته أن البكتريا موجودة في الهواء قبل انتقالها إلى الخميرة . وبالرغم من أن الرأي الماركسي ظلّ يؤيد هذه النظرية إلا أن أو بارين رئيس معهد الكيمياء الحيوية الذي ظل يبحث (٣٧) عاما في أصل الحياة ، صرح بأن الحياة لا يمكن أن تبدأ من العدم .

[انظر كتاب نظرية دارون بين مؤيديها ومعارضيها لقيس القرطاس] .

القرد : اقصد .. إلى متى يتركوننا هنا .. وهم .. «الأحفاد» الطيبون لنا ، فإلى متى لا يطالبون بحقنا وتحريرنا من هذه السجون حتى نتمتع بالحرية التي فقدناها منذ أمد بعيد ..

الصحفي : طيب .. طيب ياقرد .. سنذكر طلبك هذا ، وإن كان في الصراحة لا يوجد عندنا أو بين ظهرانينا من يؤمن بالماركسية .. فالحمد لله الذين عندنا كلهم عرب مسالمون ..!!!!

« أصوات تتعالى مستنكرة .. وبعضها مؤيدة .. وهناك ضحكات تدوي وتصفيق يعلو .. إلا أنها لحظات .. حتى عاد السكون إلى الحديقة .. ألا من بعض أصوات الحيوانات هنا .. وهناك ... » .

الصحفي : أرأيت ماذا فعلت بتساؤلك هذا .. ياقرد ..؟

القرد : لماذا أنتم لا تحبون الصراحة في طرحكم للمواضيع ..؟
إنكم ستعيشون طول عمركم هكذا .. إذا جبنتم وابتعدتم عن الصدق في مناقشة مواضيعكم المعاصرة .. فسؤالي عن الماركسية ونظرية داروين لم يأت من عبث ..

وإنما هو من واقع بني الإنسان . . وهـذا أمر لا جدال فيه . . فهناك ماركسيون . . وهناك نظرية داروين . . وهنـاك تجانس بـين المـاركسيـين والنظرية . . وما كان سؤالي وحديثي إلا مبنياً على ذلك . . . !

الصحفي : ولكن هذه النظرية ظهر فشلها . . وبطلت . . فلا حجة فيها . . والإنسان خلقه الله جل وعلا من طين . . وأمر الملائكة بالسجود له ، وما هذه البشرية التي أمامك الآن وما قبلها إلا ذرية آدم وحواء عليهما السلام . .

القرد : أراك ياسيدي الصحفي جعلت لقاءك معي لقاء دينياً . . ؟

الصحفي : الضرورة لها أحكام ياقرد . . المهم المهم عن أي شيء تريد أن أحدثك ؟

ـ عن الحب مثلا ـ . . ؟

القرد : (ينظر في وجوه الجالسين ـ ثم قـال) : أتحداك ياصحفي . . أن وجدت بين هؤلاء الذين تصلبوا أمامي أحداً يحب الآخر . . أو حتى يفهمون معنى الحب . .

الصحفي : إذن لنتحدث .. عن .. عن الأمل عند الحيوان ..؟ ها .. ما رأيك موضوع رائع .. أليس كذلك ..؟

القرد : (ينظر إلى الصحفي بسخرية - ثم قال) : الأمل .. أنت تقول الأمل ياسيدي ..؟!

الصحفي (يهز رأسه): نعم

القرد (مستطردا) : وهل ترك « أمل » لكم ولأهليكم شيئاً حتى تتحدث عنه ..!!

الصحفي : (ينزل رأسه برهة - ثم يقول) : إذن عن الصحف العربية ..؟

القرد : تفرش للأكل فقط .. وإن زادوا في تقديرها .. وضعت على حائط دور العزاب ..

الصحفي : عن الصدق ..

القرد : لا أحد يصدق أحداً عندكم ..

الصحفي : عن الولاء

القرد : وقليل فاعلوه ..!

الصحفي : عن الأمن الغذائي . . « السبال » . . الجوز . . الموز . . اللوز . . البندق . . . ؟

القرد : قل الأمن المركزي . . الأمن العام . . المباحث الجنائية . . المباحث السياسية . . . !

الصحفي : لماذا أنت متشائم هكذا . . . ؟

القرد : ومن قال أنك أنت متفائل ياسيدي الصحفي . . أو الذين خلفك والذين يتبعونهم . . !

«اطرق الصحفي هنية ـ ثم قال » : آخر سؤال . . ما رأيك بهذه الحديقة الغناء التي أنت فيها . . فها هي والحمد لله كل شيء متوفر فيها . . خدم وحشم وأكل ونظافة . . وهدوء . . وموسيقى هادئة . . . . الخ !

القرد : رأيي ياسيدي . . هو أن كل شيء حقيقي أعطيتمونا إياه . . إلا شيئاً واحداً . . !

الصحفي : ما هو ياقرد . . ؟

القرد : الذي فقدتموه أنتم في بلادكم العربية هذه . . . . !!

« ضج الحضور . . وتعالت الأصوات تدوي في أرجاء الحديقة . . إلا أن القرد بدأ يقفز من عصن إلى آخر . . إلى أن اختفى بين أغصان قفصه !!!» .

انهمك الصحفي من تلك الأسئلة والوقوف متصلبا بين تلك «المكريفونات» وحرارة الاضاءة . . ووجوه الجالسين . . وبينما هو كذلك متجه بين الأقفاص . . . إذا بكلب صغير لأحدى زوجات الدبلوماسيين الأجانب . . يجري خلفه . . ثم فجأة وقف عند سور الحديقة الخارجي . . وإذا به يتحدث إلى أحد الكلاب السائبة . . فوقف الصحفي ليسجل الحوار لذلك الموقف الفريد . .

الكلب العربي : ما اجمل شعرك وما أروع طوقك . . وماأطيب رائحتك . . من أين لك كل هذه النعمة . . ؟

الكلب الأوروبي : من أنت . . ؟ وما هذه الكلمات المتلاحقة . . ؟ ثم ما هذا الفضول الذي فيك حتى تسألني هذه الأسئلة . . ؟

الكلب العربي : لا تعجب يا أخي ، فإني لم أر كلباً منذ أن ولدت في هذه الأرض بمثل ما أنت عليه الآن ، جمالا وفتنة . . !

ثم ما هذه الحديدة التي تتدلى من طوقك . . ؟

الكلب الأوروبي : هذا اسمي وعنواني . . . ونوعي أيضا . . فأنا أن تهت أو أغمي عليّ في بلادكم بسبب الأوساخ التي في شوارعكم فإنهم بهذه المعلومات يستطيعون أن يعثروا على « أهلي » بكل سهولة ويسر . . وأنت أين طوقك واسمك وعنوانك . . . ؟

الكلب العربي : (يضحك) لا لا . . أنا من الكلاب السائبة . .

الكلب الأوروبي : وما معنى السائبة ياهذا . . ؟

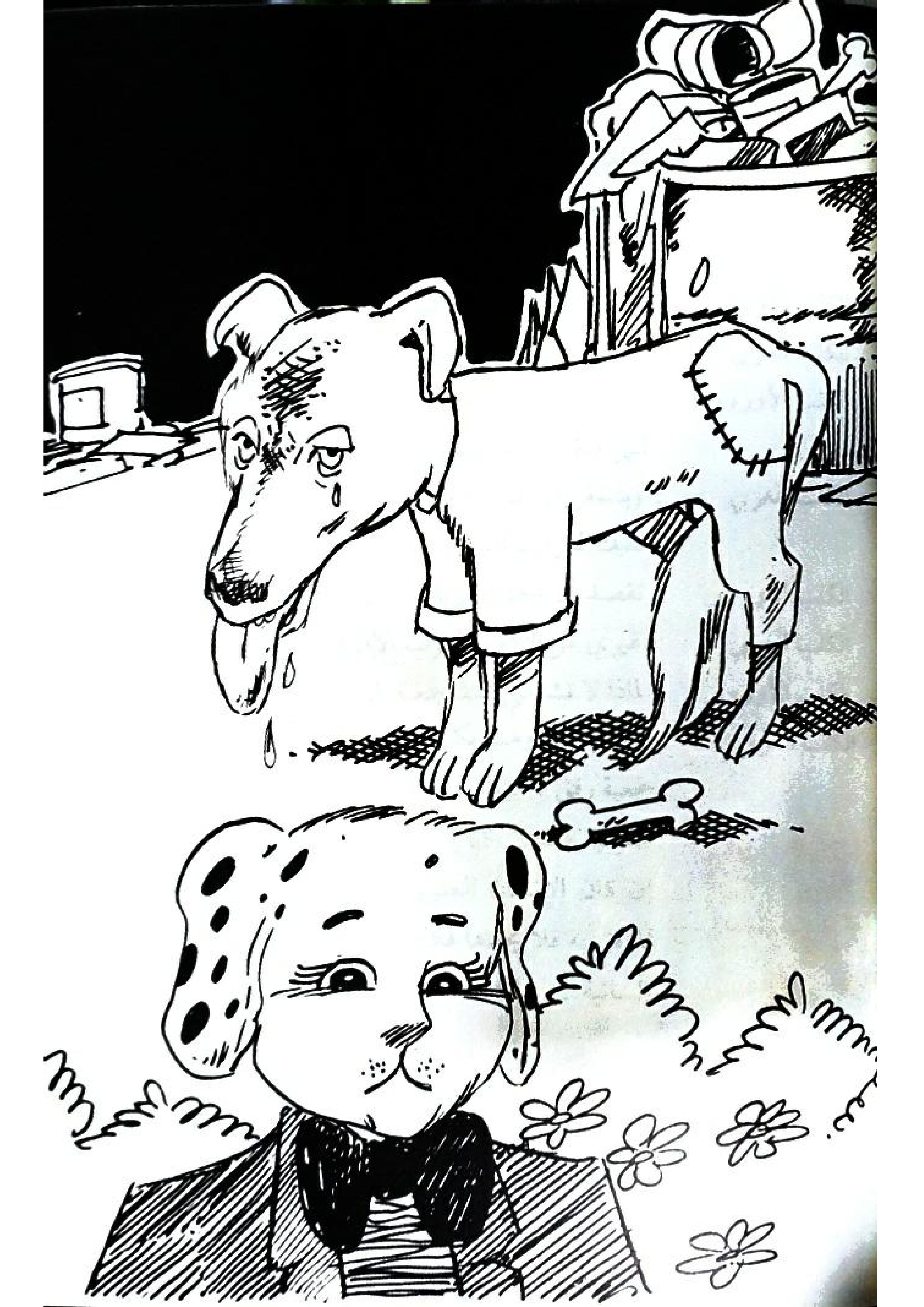
الكلب العربي : يعني بالعربي التي تملك حرية التنقل دون قيد أو شرط . . هكذا على وجوهها . . !

الكلب الأوروبي : ياه . . تقصد الحرية . . ما أمتعها . . !

الكلب العربي : الحرية . . نعم نعم الحرية التي نتمتع بها . .

الكلب الأوروبي : ولكن لم تقل لي أين باقي اذنك . . واين فروتك . . ولماذا تعرج ؟

الكلب العربي : باقي أذني . . أنت تسأل عن باقي أذني . . ؟ قل أن القطع كان في أذني . . لا رأسي عند جسدي . . . !





ثم أنك تسأل عن فروتي وشعري. .فأنا يا صاحبي
كلب بفـروة مقدرة منع من ظهورها التعذر. . ! !
أي نعم من التعذر في زمن هذه الأمة المتعذر . . . !

الكلب الأوروبي : ولكن لم تقل لي عن سبب عرجك . . ؟

الكلب العربي : هراوة مرت على « وركي » . . . . !

الكلب الأوروبي : ما قصدك بالهراوة . . آه . . آه . . يعني عصا التي يتكأ عليها للمشي فهمت . . فهمت . . .

الكلب العربي : (بسخرية) عصا يتكأ عليها ، اقسم لو مر هواها عليك لعرفت قدرها ياهذا . . . !

الكلب الأوروبي : تقصد أن أحداً ضربك . . ؟

الكلب العربي : غيري من كلاب العرب الآن في خبر كان . . !

الكلب الأوروبي : لماذا لا تشتكي عند جمعية الرفق بالحيوان . . ؟

الكلب العربي : (ينظر إليه وهـو يكاد ينفجـر من الغيظ) : أي جمعية رفق بالحيوان ياهذا التي تتكلم عنها في بلادنا العربية هذه . . ؟؟
إن كان الإنسان العـربي نفسه يحتـاج إلى جمعية للرفق به فلا يجدها فكيف بنا نحن كلاب العرب السائبة . . . ؟؟

الكلب الأوروبي : أو صحيح ما تقوله .. بأنه لا توجد جمعيات تطالب برفع الظلم عن الإنسان العربي .. إذا ظلم ..؟

الكلب العربي : لا فقط عندنا جميعات اشتراكية .. وجمعيات شعبية .. وجمعيات بوليسية .. وجمعيات للمخابرات السرية .. وجمعيات عمالية .. ولا عمال فيها .. وجمعيات «ردحية» ... وجمعيات « وأد الحرية » وهكذا جمعيات ، ولكن على الطريقة العربية ... !!

ـ انتفض الكلب الأوروبي من تلك الكلمات المقززة التي يقولها الكلب العربي ... وبينما هو كذلك مصدوما .. إذا بأجهزة المخابرات والمخبرين قد انتشروا في أرجاء الحديقة يبحثون عن الكلب الأوروبي المفقود .. وإذا بزوجة ذلك الدبلوماسي الأجنبي تبكي وهي تجري وراء رجال المباحث .. حتى وجدته ... فضمته إلى صدرها وهي تبكي ..

وما هي إلا لحظات حتى حكم على الكلب العربي بالإعدام رمياً بالحجارة والطوب .. وذلك لسبب افشائه بعضا من خصائص كلاب العرب ... !

بدأ الصحفي يهدىء الحضور . . يشير بيده ويومىء برأسه . . ويهز وسطه حتى هدأ الحضور ، الا من واحد كـان يهتف بين الجلوس . . ويقول :

تحيا الأمة العربية « تحيا الأمة العربية . . ديمقراطية ديمقراطية . . في بلادنا العربية . . ديمقراطية حرية . . في أرضنا العربية . . . »
ولايزال يهتف إلى أن قرب منه الرجل الذي كان يلبس معطف ثقيل بني اللون وعليه نظارة سوداء ، وبيده هراوة ضخمة . . فهمس بإذن الرجل الذي كان يهتف . . فهدأ بسرعة . . وصمت تماما . .

بدأ الصحفي بعدها يزيل عرقه المنهمر . . ولكن الحيرة تملكته . . وعاد السؤال الحائر عليه مرة أخرى . . أين يذهب . . ؟ هذا هو الشيء الذي لم يعمل حسابه من الأول . . ثم الحضور قد تحمس معه وأصبحت القضية الآن قضية وجود أو عدم وجود . . فالمسألة خرجت من يده . . والكل ينتظر باقي الحديث فهناك فريق يؤيد . . وهناك من يعارض . . والمعارضين لمنطق الحيوان يصرون على معـرفة كـلام باقي الحيـوانات وحجيتها في الحديث والتعبير عن مكنوناتها . . .

إلا أن الصحفي . . بدأت أساريره تتهلل عندما وقع اختياره على الحمار . . نعم نعم الحمار . . ذلك المخلوق العجيب . . نعم الحمار الصامت . . .

اتجه الصحفي إلى قفص الحمار ونظرات الحضور معاه تتبعه . . والمصورون يأخذون له صورا وهو يقترب من قفصه . . .

الصحفي : أهلا بك ياحمار . . .

الحمار : أهلا ياسيدي . . . ماذا تريد . . ؟

الصحفي : أريد أن أجري معك لقاء صحفيا ياأبا الجحش . .

الحمار : وما المنفعة منه . . وأنا في هذا القفص . . ياسيدي الصحفي . .

الصحفي : حتى أذهب به إلى الخلائق خارج الحديقة . . وحتى يعرفوا عنك الكثير

الحمار : وهل أمري غريب حتى يعرفوا عني ذلك الشيء . . . ومن يجهل الحمار في هذه البسيطة ياسيدي الصحفي . . فأنا حمار ابن حمار . . أفهمت ؟





الصحفي : أنا أعرف ذلك . . ولكن جيلنا هذا جيل الحاضر جيل الفيديو لا يعرف الحمار ، وصبر الحمار . . . ومنافع الحمار كذلك . . .

الحمار : تفضل واسأل وإن كنت أخذت على نفسي عهداً أن لا أحدث إنساناً قط ، ولكن بما أن أمرك يختلف تمام عن مراد غيرك . . الذين تركوا واقعهم المترهل وجاءوا عندنا في هذه المقبرة الجماعية كي يضحكوا علينا . . .

الصحفي : أحسن النية ياأبا الجحش . . . فهؤلاء أناس طيبون جاءوا ليشاهدوا أخوانا لهم في الخليقة . .

« أحد الحضور يرفع حذاءه بيده محتجا على تلك العبارة . . وآخر يرمي بكرسيه إلى أعلى في الهواء غاضباً . . وآخر بدأ يقطع بأسنانه بطاقة الحضور . . ولكن الدبلوماسيين الأجانب ، كانوا يبتسمون بكل تفاؤل وحسن نية . . لحظات . . إذا بصاحب المعطف البني الثقيل يقترب من الحضور . . وهو ينظر إلى ذلك الرجل الذي يلوح بحذائه في الهواء . . »

وما هي إلا لحظات حتى عادة الحذاء إلى موضع غير موضعه الأول . . فقد استقر على رأس صاحبه الذي كان عظة لغيره ، فهدأ المحتجون العرب تماما حتى من أنفاسهم . .

الحمار : أخوانا لهم في الخليقة . . ؟ أراك تستهزىء بنا ياسيدي الصحفي . . فأي إخوان لهم في الخليقة وأنا أسمعهم وهم يقولون لبعضهم البعض ، تعالوا لنضحك قليلا على الحمار . . . (حمّال الأسيّة) وكلاما غيره يقزز عني وعن جسدي . . وأظنك تفهم وليس هناك داع للاسترسال . .

الصحفي : هؤلاء قلة . . ومن كثير يا أبا الجحش . . .

الحمار : تقول هؤلاء بأسلوب وكلمة الجمع ثم تقول قلة . . . أرأيت كيف يناقض الإنسان نفسه في هذا العالم العجيب . . .

الصحفي : أراك لغوياً يا أبا الجحش . . .

الحمار : ومتفقها كذلك . . يا أبا مرة . .

الصحفي (يضحك): تكنيني بكنية أبليس . . يا أبا الجحش . . .؟؟

الحمار : هذارأينا فيكم . . لأنكم بالنسبة لنا هكذا . .

نعم ياسيد أبا مرة . . فقد قال الله فينا :

﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ، ومنها تأكلون ، ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون ، وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس . . إن ربكم لرؤوف رحيم . . والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينه ويخلق مالا تعلمون﴾*.

وأنتم غيرتم تلك الآية ووضعتمونا هنا للفرجة ومكانا للتسلية . . فانتفت الحكمة التي وجدنا من أجلها ،ألا وهي خدمتكم وحمل أثقالكم . .

الصحفي : وهل تريدنا أن نترك السيارات الفاخرة والعربات الكبيرة لحمل الأمتعة ونركب حماراً . . لا . . لا . . . .

الحمار : ومن قال ذلك . . فإن كان العلم قد تقدم بكم إلى أن استبدلتمونا بتلك الحافلات والعربات ، فلماذا تهينوننا الآن . . وهل جزاء من أحسن إليكم سابقا بأن تجزونه بالأهانة وتضعونه في السجن . . هكذا . . حتى يضحك عليه الغادي والرائح . . .

---

* آية ٥ ـ ٨ سورة النحل

الصحفي : موضوعنا .. أرى أننا خرجنا عن الهدف الأساسي من اللقاء ..

الحمار : وما هو .. تكلم ..؟

الصحفي : أخبرني أبا الجحش عن مكنونات صدرك ، بوح لي بمشاعرك وأنت في هذه الحديقة الجميلة التي وضعت بها ..

الحمار : غيره .. غيره .. أريد سؤالا آخر .. ارجوك ..

الصحفي : ما رأيك في الحب .. ها ... سؤال ممتاز ....

الحمار : وأنتم كلما تأزمت أزماتكم تغنيتم بالحب .. لقد سئمت من تلك الأغاني التي تنشد في هذه الحديقة ليل نهار .. وكلها تطرب عن الحب .. وعن الحرية .. وعن الوفاء .. وعن المساواة .. وواقع حالنا يشير ـ بأذيالنا ـ إلى تلك المهازل نفوراً وسخطاً .. فأين الحب في واقعكم ، وأين الحرية في مجتمعاتكم .. وأين الوفاء فيما بينكم وأين المساواة .. في خليقتكم .. ياسيدي الصحفي قبل أن تسأل عن الحب انظر إلى واقعك وحالك

وعيشك على حد سواء . . ألا أن كان الحب قد
فقد من عندكم فجئت تبحث عنه عندنا معشر
الحيوانات . . فأقول لك . . اذهب وانظر إلى
تلك الحمارة التي هناك وهي ترضع صغيرها . .
حتى تعلم أسمى معاني الحب والوفاء عندنا . . .

«الصحفي يمسح عرقه ـ الحضور يتمتمون بكلمات غير مفهومة ـ صاحب المعطف البني يخرج هراوته . . لحظات وعاد الهدوء إلى الحديقة » .

الصحفي : سؤال آخر . . ما رأيك بالصحافة العربية . . ؟

الحمار : « ينهق » . . . !!

الصحفي : اسرائيل . . .

الحمار : لو كان عدد الحمير بعدد العرب . . لرفسنا اسرائيل خارج خارطة العالم أجمع . . !! .

« أصوات تتعالى ـ احتجاج ـ اعتراض ـ وفد عربي تقدمي ينسحب ـ يخرج بين الحضور صاحب المعطف البني والنظارة السوداء ويتقدم نحو الصحفي والحمار . . وما هي إلا لحظات . . حتى انزل تلك الهراوة على رأس أم الحمار . . فأرداه أرضا . . . ! »

فنهق الحمار بالصحفي قائلاً :

أكتب عندك ياسيدي الصحفي . . أني ضحيّة الواقع العربي المعاصر عندكم . . . !!!

وبعدها اقتيد الصحفي للتحقيق !!

تمــت

وفأر في قفص الاتهام ..!



في احدى قاعات المحاكم العرفية في العالم العربي الشاسع ، وبين ردهات المبنى . . التقطت وقائع جلسة غريبة لأحدى المحاكمات التي أجريت فيها والتي تعبر بصدق عن المعايير التي يتم فيها فصل الحكم في قضية تكاد تكون الفريدة من نوعها . فكان هذا التسجيل لتلك المشاهد والأحداث .

تكاد تبدو قاعة المحكمة مظلمة . . إلا من ضوء خافت يرتج مع تأرجح السراج المتدلي من السقف . . وتظهر طاولة القاضي في وسط المحكمة غطيت بقماش أسود ، يتدلى طرفه نحو الواجهة الأمامية للمحكمة . . وقد كتب عليه بالخط الأبيض . . « الإصلاح منهجنا » . . . أما على الجانب الأيمن من القاضي . . فتوجد صناديق مبعثرة وسياط معلقة وأصفاد وهروات ضخمة ممددة .

ـ يدخل القاضي ويتبعه أثنان من مستشاريه وهم يسيرون خلفه تماما . . ثم يلف القاضي لفة سريعة حول المحكمة . . ويقف عند كرسيه لحظة ثم يجلس ومن معه بطريقة منظمة .

في هذه الأثناء يدخل الحاجب وقد ارتدى لباسا غريبا هو للجزارين أقرب منه لشيء آخر . . وقد كان ممسكا بيده ورقة طويلة ثم دنا نحو

طاولة القاضي ليواجه الجمهور مباشرة .. ثم وقف متصلبا دون حراك ينتظر الاشارة من القاضي .

القاضي : ما هذا الصياح والعويل خارج المحكمة ..؟؟

الحاجب : يبدو أن المجرم الذي نحن بصدده قد وصل ياسعادة القاضي .

القاضي : ولماذا هذا الصراخ المزعج .. ألم يعلموا أن في المحكمة نظام يتبع ؟!

الحاجب : يبدو أن المجرم من النوع الذي لا يفهم النظام ياسعادة القاضي ؟؟

القاضي : ليأتي إلى هنا حتى أفهمه النظام .. ، لابل ألقنه درسا لا ينساه في النظام .

- (يدخل أحد الحرس مفزوعا وهو يقول) .

الحارس : ياسعادة القاضي .. لقد حضر المتهم ..

القاضي : فاليدخل وليأخذ مكانه في ذلك المكان .. (مشيراً إلى مكان قفص الاتهام الذي على يساره)

الحارس : ولكنه أحضر في صندوق ياسعادة القاضي !

الحاجب : ومن يجرأ على إدخاله صندوق غير هذا (القفص) ياهذا ؟؟

القاضي : هراء ..، هراء .. عن ماذا تتكلم يا هذا .؟!

الحارس : أنه نحيف صغير ياسعادة القاضي ..!

القاضي يصرخ

عالياً : عمن تتكلم ياهذا ؟

الحارس : عن المتهم .

(الصوت يقترب أكثر فأكثر)

الحاجب مخاطبا

القاضي : لقد وصل ياسعادة القاضي ...

(يدخل إثنان وقد حملا بيديهما صندوقا به فأر كبير ..!!) .

القاضي : ما هذا .؟!

الحاجب : فأر وضيع ياسعادة القاضي .!

القاضي : للرجلين الذين يحملان الصندوق : احملاه إلى الخارج هيا ..

أحد الرجلين : هذا هو المتهم ياسعادة القاضي..!!

القاضي : قلت اخرجاه خارج هذه القاعة وإلا حبستكما ٢٤ ساعة .. هيا ..

الحارس : صحيح صحيح .. هذا هو المتهم ياسعادة القاضي .. وما هذه الورقة التي بيد الحاجب والتي أعطيته إياها قبل أن يدخل إلا التهم التي عملها هذا المجرم الوضيع ..

ـ الحاجب ينظر إلى الورقة الطويلة التي بين يديه مستغربا .. وإذا به يصرخ .. ياالهي .. ياالهي .. أنها تهم موجهه إلى هذا الفأر ... ثم يذهب ويشير بها إلى القاضي كي يقرأ ما بها .

القاضي : إذن القضية قضية فأر . !

الحاجب : هي كذلك ياسعادة القاضي ...

الحارس : ياسعادة القاضي .. أتجزع من محاكة فأر وضيع .. وأنت أنت الذي تحاكم يوميا أسود الفلاة ...

القاضي : خسأت وانطفأت ياهذا ... إني لا أجزع من محاكمة فأر .. ولكن ولكن .. أين أضع مكانتي ومركزي وأنا أحاكم فأراً وضيعاً ياهذا ..؟!

الحاجب : نعم أين يضعها .. أين يضعها .. (ثم بدأ يرفع حزام بطنه إلى أعلى) .. فقال ـ مخاطبا الحارس : قل أين يضعها ياهذا .؟!

الحارس : لا دخل لي في أين يضعها . . لا دخل لي لا دخل لي . .

القاضي مخاطبا

الحارس : اخرج خارج القاعة وانتظر عند بابها ولا تدخل أي مخلوق إلى هذه القاعة حتى انتهي من محاكمة هذا الفأر .

الحارس : أمرك ياسعادة القاضي . . (يتجه خارج المحكمة) .

القاضي مخاطبا

الحاجب : هيا أتلو التهم الموجهة إلى هذا الحيوان الوضيع . .

الحاجب : تقول المذكرة هذه أولا : أن هذا المتهم ـ يشير إلى الفأر ـ الماثل أمامكم هذا . . . قد ارتكب جرائم نكراء عديدة . . .

القاضي : ادخل في ما جاء في التهم هيا . . .

الحاجب : ينظر إلى القاضي ويقول المقدمة المقدمة ياسعادة القاضي . . .

القاضي : بدون مقدمات .. فأر وضيع ومجرم ، وتجعل له مقدمة .. (يضحك بسخرية) .

الحاجب : تقول المذكرة ..

القاضي . : قصدك التهم .

(يبدو الحاجب وكأنه غير راضي من كلام القاضي) . ثم قال :

التهم نعم التهم ياسعادة القاضي .. تقول : الكل يعلم ما هو خطر الفئران وما تجلبه من تعاسة على الإنسانية فبغض النظر عما تحمله الفئران من أمراض فتاكة قد ثبت في التاريخ أنها فتكت بأمم كثيرة ودمرت بسبب انتشارها الملايين من البشر .. ومازالت حتى هذه الأونة تفتك بأموال الناس ومدخراتهم ... ، وبما أن الطب قد تقدم وبدأت الوقاية تنتشر بين الناس والوعي يكثر بفضل العلم والتطور ... فقد قلّت والحمد لله الأمراض التي يسببها هذا المجرم اللعين ولدرجة بدأ معها أشباهه ينقرضون من المجتمعات المتقدمة النظيفة ...

القاضي مقاطعا : إذن لماذا أحضر هذا الفأر ياهذا إلى هنا ..؟؟

الحاجب : لم أكمل باقي كلامي ياسعادة القاضي .. لم أكمل كلامي بعد .. أرجوك أرجوك . دعني أكمل باقي كلامي والا تركت الورقة وما بها وخرجت ..

القاضي : أكمل أكمل هيا . . .

الحاجب : إلا أن هذا المجرم الماثل أمامكم قد تمادى في غيه وسدر في مفاسده وغرف في لجج جشعه فبدأ ينخر في أركان العالم العربي ويدمرّ هياكل منشأته ويسف مخزونه سف الرياح الهوج للرمال الناعمة تاركا وراءه أشلاء جرائمه ومخازي أفعاله للغادي والرائح ، فأربك البلدان بالمصائب وجر عليها الويلات . . تساعده في إرتكاب فواحشه المنكرة بطانة سوء من بني جنسه . . (يصمت برهة) ثم يقول : أما هذا المتهم فقد أدين بأنه نخر بأسنانه الحادة ٥٠ بابا من أبواب المخازن الخشبية . . وقطع أكثر من ١٠٠ سجادة أعجمية . . . وقضم أكثر من ٢٠٠ حذاء ايطالي . . وجرش الحبوب والقطنيات بجميع أشكالها وأنواعها . . فلم يبق مخزن إلا وأثار جريمته بادية فيه . . لذا فإن النيابة العامة . . تطالب العدالة بتوقيع العقوبة الرادعة على هذا المجرم الآثم جزاء وفاقاً لما اقترفت أسنانه

ومخالبه وزجرا لمن توسوس له نفسه أن يعبث في أموال الغير بالباطل .

القاضي : فأر مجرم . . . يا لك من فأر مجرم . . . !

الحاجب : يرفع الصندوق إلى أعلى ويضعه على الطاولة أمام القاضي . . كي يراه جيدا . .

الفأر : هل انتهيتم من تلو المحضر ياسادة . . . .

القاضي : فأر وله جرأة يتكلم . .

الحاجب : أرأيت ياسعادة القاضي طول لسانه ، دعني ياسعادة القاضي ألقنه درسا لا ينساه . .

الفأر (متهكما) : دعني ياسعادة القاضي ألقنه درسا لا ينساه . . ألا تستحي وأنت كالأبله . . . تريد أن تضرب فأراً صغيراً . . وتلقنه درساً . . وأنت بهذا الكبر وهذا الحجم . . ؟؟

القاضي : إن التهم الموجهة إليك أيها الفأر في هذه الورقة التي بين يدي الحاجب ، والتي تثبت أنك قد أجرمت في حق الغير . . وقد دمرت ودمرت ودمرت . . .

الفأر مقاطعا : قبل أن تسألني ياسعادة القاضي لأجيبك على تساؤلك .. أخرجني من سجني هذا حتى أستطيع أن أجب على أسئلتك بكل حرية وصراحة أيضا ..

الحاجب : أحتج أحتج ...

القاضي : على أي شيء تحتج ياحاجب ؟؟.

الحاجب : على خروج هذا الفأر المجرم من سجنه الصغير هذا ...

الفأر : -أن الأمر للقاضي وأظن أن القاضي هو المسؤول في المحكمة وليس أنت ياحاجب يا ...

الحاجب : ياماذا يا فأر يامجرم .؟؟

الفأر : ياجزار يا متوحش ..

الحاجب : أسمعته ياسعادة القاضي أسمعته ...، أنه يجرحني بكلام قذر ...

القاضي : أخرج هذا الفأر ياحاجب من صندوقه هذا .. هيا ...

الحاجب : ولكنه قد يهرب ياسعادة القاضي ....

القاضي : القاعة محكمة الاغلاق . . . ثم لماذا يهرب . ؟؟
أيريد شر العقاب بهربه . .

الفأر : هيا ياحاجب افتح هيا . . وبسرعة . . .

- الحاجب يفتح الباب ويخرج الفأر ثم يجلس أعلى الصندوق . . وهو يحرك يديه ورجليه بحركات رياضية . .

القاضي : ما هذه الحركات يافأر . ؟

الحاجب : قلة أدب وحياء أيضا وهي طبع متأصل في أخلاق الفئران فلا تعتب عليه ياسعادة القاضي ولا تؤاخذه

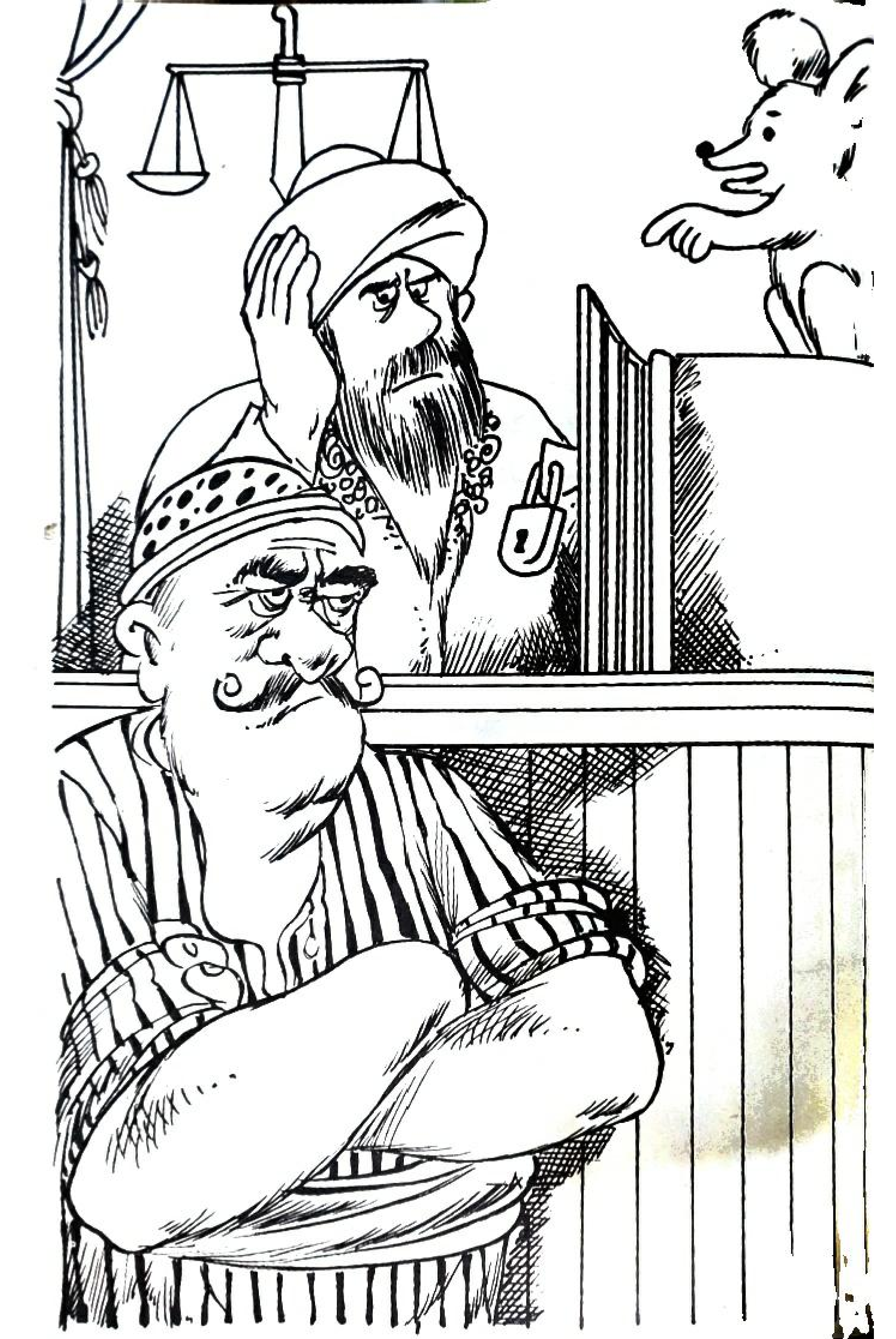
الفأر مخاطبا

الحاجب : هذه حركات أعلى من مستوى فهمك وفهم الذين علموك الجزارة يا . . .

الحاجب : ياماذا يافأر يامجرم . . (يامشعوذ يافتاك . .) . . .

القاضي : يظهر أنك فأر متمرس في الغي والغطرسة

الحاجب : لو سمح لي سعادة القاضي بأن ألقنة درسا على هذه الحركات القذرة . .



الفأر : وهل أحضرت إلى هذا المكان ومع هذه التهم الكاذبة حتى يلقنني جزار درسا لا أنساه . . ثم أين هي قوة القاضي وشخصيته عندما يضرب أمامه فأر صغير وعلى يد جزار أهوج مثلك ؟ .

الحاجب : أعترض . . . أعترض . .

الفأر مقاطعا : دعني أكمل كلامي ياجزار . . ماذا يقول الناس غدا (يوجه تساؤله إلى القاضي) إذا علموا أن فأرا صغيرا ضرب في المحكمة أمام قاضي مثلك . ؟ . .

القاضي : صحيح صحيح . . لحظة ياحاجب . . دع الفأر وشأنه قليلا حتى يأخذ استعداده للمحاكمة ولننهي هذا الشجار الجانبي . . هيا . .

الحاجب : أمر سعادة القاضي (يرجع إلى يمين القاضي) . .

الفأر : يتمتم ـ صحيح أن الإنسان لا ذمة ولا أمانة له (وهو ينظر إلى الحاجب) .

الحاجب : اسمعته ياسعادة القاضي أنه يعنيني . . .

القاضي : سبحان الله . . . سبحان الله . . . الهدوء . . الهدوء . . ثم قال للفأر : ما هو ردك على هذه التهم الموجهه إليك يافأر . . أجب . . . ؟؟؟

الحاجب يبتسم . .

الفأر : وأي تهم هذه ياسعادة القاضي . . . أتصدق هذه الأقاويل المفتراة علي وتجعلها تهما . . فأي ذنب ياسعادة القاضي من أني أكلت حبوبا أو قضمت طرف بابا . . . أي ذنب لي ياسعادة القاضي . إذا فرط الإنسان العربي في الشيء الذي أُتمن عليه فياسعادة القاضي حاكموا أولئك لا أنا الفأر الصغير المسكين . .

الحاجب يضرب كفا بكف . . .

القاضي : تقول أي ذنب . . لا أدري والله ما هو ذنبك . . أتسرق وتقضم مائة باب وتقول أي ذنب فعلت . . ألا تخجل . . ألا تستحي من نفسك ومن فعلك هذا . . .

الفأر : عجبا والله ياسعادة القاضي . . . أنا الذي أصبحت الآن مذنباً ومتهما ولا أخجل أيضا مع الأسف الشديد ياسعادة القاضي . . كان الأولى أن تقول لمن جعل التسيب شعارا له . ولمن خان الأمانة وعاث في الأرض الفساد . . لا أن تقول لمثلي هذا الكلام . . وأنا الفأر المعدم . .

القاضي : من تقصد . . ؟؟

الفأر : أقصد من جعلني مجرماً . ؟؟
من دعاني للسرقة . ؟
من دفعني لأكل الحبوب . ؟؟
من ساعد على تكاثري وتواجدي بهذا الشكل الكبير . ؟
من ومن ومن ياسعادة القاضي . ؟؟

الحاجب : لا يسحرك بكلامه يا سعادة القاضي . .

القاضي : من تعني وماذا تقصد بكلامك هذا يافأر . ؟؟

الفأر : قصدي معروف ومفهوم ياسعادة القاضي . . فلو كانت هناك مراقبة ما سرقت . . ولو كانت هناك رعاية ما عبثت .

ولو كانت هناك أمانة على المخازن ما تجرأت وعشعشت وبصراحة أكثر لو كانت هناك جدية في عالمكم العربي على عدم ابقائي ما بقيت . !

الحاجب : فأر مجرم غير أمين . .

الفأر (متهكما) : لا مجرم غيرك يا . . . .

الحاجب : أسمعته ياسعادة القاضي أنه يتهمني بالاجرام . . . وأنا الرجل الأمين . . .

الفأر : رجاء يا (جزار) . دعني أكمل حديثي مع سعادة القاضي . . ولا تقاطعني عندما أتكلم معه . . . ثم دع عنك كلمة (الأمين) هذه فإنها لا تليق بأمثالك .

القاضي : وما تعني يافأر بكلمتك هذه . . أتريد أن تتهم المحكمة بأنها غير نزيهة وأمينة عند وضعها لهذا الحاجب . ؟

الفأر : ومن يدري ياسعادة القاضي ماذا يحدث في المحكمة أو في غيرها من (مصائب) أو يعلم بظنك أصحاب المخازن ماذا يفعل في مخازنهم من جرائم ومصائب . . أو غيرهم وغيرهم في بلدانكم

الأمنـــة . . . ثم من قـال أن هــذا (الجـــزار)
أمين . ؟؟

(الحاجب ينتفض في مكانه غيضاً) . . وهو يقول : دليلك دليلك
يافأر يامجرم على أنني لست بأمين . ؟؟

ـ القاضي يهز رأسه استحسانا لهذا السؤال .

الفأر مخاطبا الحاجب : أين يقع بئر زمزم ياحاجب يا (أمين)

ـ يقولها بتهكم وسخرية تامة ـ ؟

الحاجب يحك رأسه ثم قال : أنا حججت قبل أن يحفر بئر زمزم . .

الفأر يخاطب

القاضي باستعلاء : هيا ياسعادة القاضي أرجوك أكمل ما عندك من أسئلة واتهامات فيكفيني صبرا يكفيني . . .

القاضي يتنحنح : ثم قال للحاجب : دعني أكمل أسئلتي ياحاجب دعني . . حتى نرى باقي مصائبه . .

الحاجب : أمر سعادة القاضي . . . (يرجع إلى الخلف ليقف على يمين القاضي) . . .

القاضي : لماذا لا تجاوب على أسئلتي وبتحديد واضح . ؟؟

الفأر : على أتم الاستعداد ياسعادة القاضي . . اسأل ما شئت . . ولكن . . .

الحاجب : ولكن ماذا . . . ولكن ماذا . . ؟

الفأر : ليسكت هذا (الجزار) ياحضرة القاضي حتى أكمل حديثي وإلا . . .

الحاجب : وإلا ماذا . . وإلا ماذا . . هيا تكلم . . ؟؟

القاضي مخاطبا

الحاجب وبغلظه : وإلا أخرجتك خارج هذه المحكمة . . .

الحاجب : أمر حضرت القاضي . . (يلتزم الصمت) . .

الفأر : ولكن أرجوك أن تكون منصفا معي . . فأنت بالحق تحكم . . وهذا الشعار الذي على هذه الستارة التي أمامي قد كتب عليها (الاصلاح منهجنا) . . يدل على سعيك للاصلاح ومحاربتك للفساد المتفشي في عالمكم العربي هذا . . .

القاضي : طبعا . . وهذا ما نسعى إليه . . .

الفأر : إذن دعني ياسعادة القاضي ادفع التهم الموجهة إلي . . . .

ـ الحاجب يتبسم بسخرية تامة ويقول : الله أكبر . . . فأر مجرم ويترافع عن نفسه كذلك . . .

القاضي : الصمت الصمت ياحاجب وإلا . . . .

الحاجب : أمر سعادة القاضي . . .

القاضي : قل ما شئت يافأر هيا . . . .

الفأر : أولا ياسعادة القاضي اتهمتموني بأنني سارق . . . ووصفتموني منذ أن أحضرت إلى هنا بالوضيع والمجرم . . .

القاضي : هذا صحيح . . .

الفأر : ثانيا . . لم يخجل المسؤلون في عالمكم العربي هذا عن وضع صورتي في مدنهم وعلى الطرقات والشوارع ويكتبون تحتها عبارات منفرة مثال «احذروا هذا العدو» . . . «انتبهوا من مجرم المخزن» . . . « حافظوا على مخازنكم من هذا الفأر » . . . «إذا رأيت فأراً في مخزنك فعليك الاتصال بنا سريعا » . . الخ . . . .
من تلك العبارات الجارحة المقززة . . .

ثم أني أسـألك يـاسيدي القـاضي ـ أن سلمت جدلا بأنني مجرم وسارق ووضيع كذلـك . . إلا توجد هذه الصفات بين الإنسان العربي عندكم وفي بلدانكم (الفاضلة) هذه . . مجرد سؤال . ؟

القاضي : ماذا يدور في خلدك . . . هيا أفصح هيا . . . ؟

الحاجب : فأر خبيث . . فأر صاحب فتنة . .

الفأر : ليكرمنا هذا بهدوءه وسكوته . . ياسعادة القاضي أرجوك . .

القاضي مخاطبا

الحاجب : السكوت السكوت ياحاجب . .

الحاجب : أمرك سعادة القاضي . . .

الفأر : أين المجـرمـون (بعـالمكم العـربي هـذا) . أين المرتشون . . واللاعبين بـالأموال والملايين . . فإن كنت أنا المجرم الذي أكل بعض الحبوب من المخازن . . . جعلتموني مجرما ووضعتم صوري في كل مكان لتحـذروا الناس مني . . . فكيف بالذي يحرق المخازن بأكملها قبل الجرد . . فلماذا لا تضعون صور هؤلاء المجرمين السارقين

في الشوارع والطرقات كما فعلتم معي . ؟؟ لماذا لماذا لا تحذرون الناس منهم وهم أهل الأجرام وأعوانه ؟ . .

القاضي : توضع صورهم في الجرائد إذا مسكناهم وحاكمناهم . . .

الفأر : أي صور هذه . . أهي صور المغلوب على أمرهم والذين أدينوا رغم أنفوهم ثم أهي صور صانعي الخمور الذين غطيتم وعصبتم أعينهم هم المجرمون الذين أعنيهم . . بس هؤلاء فقط . . ما هذا الكلام ياسعادة القاضي ما هذا ما هذا . .

القاضي : يبدو أنك تعلم بخوافي الأمور . . ولا تخشى العقاب . .

الفأر : من كان مثلي لا يخشى أي شيء . . .

القاضي : حتى المبيدات . . ؟

الفأر : ولا مبيدات بلدانكم بأسرها . . تخيفني . . . ولا حتى الفرق الخاصة التي في وزاراتكم . . والتي شكلت من أجل القضاء على أخشى ياسعادة القاضي . . .

ياسعادة القاضي ابحثوا عن الذين يعيثون في الأرض الفساد من بني جنسكم وعن الذين ساهموا في تردي عالمكم العربي هذا إلى الوراء ، ابحثوا عن الذين ساهموا في قتل الأطفال والنساء والأبرياء والعزل من بني جلدتكم ، ابحثوا عن الذين ساهموا في جعل عالمكم العربي اضحوكة بين الأمم في تناقضاته وأفعاله . . نعم ياسعادة القاضي ابحثوا عنهم وحاكموهم .

(القاضي يضع يده على خده وهو صامت يستمع) . .

الفأر يستطرد . . نعم ياسعادة القاضي . . . ابحثوا عن المجرمين عن الذين خربوا بلادكم ودمروها ضعوا صورهم للناس عيانا ، حتى يعلموا من هو عدوهم الحقيقي . . لا أن يبحثوا عن فأر مسكين مثلي . . .

الحاجب مقاطعا الفأر

ومخاطبا القاضي : لا يسحرك هذا بكلامه ياسعادة القاضي . .

القاضي : اخسا وانكسر يا حاجب يـا (جزار) . . . فـإن الذي مثلك لا يتكلم . .

فأهل الإجرام والخيانة والمكر والدهاء لا تـوضع صورهم في الجرائد . ولا يعلم المواطن العـربي الحر عنهم أي شيء . .

(ثم يبدأ القاضي يتكلم بكل تهكم وسخرية) . . فقضايا جنائية مثـل قضايـا المخدرات والتـزوير والسرقات . . لا توضع صورهم وأسماؤهم وإنما يرمز لهم في الجرائد بأحرفهم الأولى فقط . أما آن للحق أن يظهر . . أمـا آن للشمس أن تسـطع وتبدد غيوم سمـاءنا السـوداء عن عـالمنا العـربي الكبـير . . . افٍ افٍ افٍ لمثل هـذا الواقـع المر المرير . . . . !!!

ـ الفأر يبتسم بكل سرور ـ

القاضي : ترفع الجلسة للمداولة . .

(يخرج القاضي ومن معه من المستشارين) . .

الفأر ينادي

الحاجب : انتظر انتظر . . أين ذاهب أنت . . فالقاضي يريد أن يداول الحكم . فلماذا أنت ذاهب خلفه . ؟؟

الحاجب : هذا من عملي . . فلا تتدخل يامجرم . . .

الفأر : تعالى تعالى يا (جزار) - أريد أن أحدثك أمراً هاماً جداً . . تعال .

الحاجب : تكلم فإني أسمعك . .

الفأر : أنزل رأسك حتى أحدثك أمراً بيني وبينك . .

الحاجب : أنا أنزل رأسي لفأر مثلك . . أنها حقا سخرية ما بعدها سخرية . . .

الفأر : أنزل رأسك يا حاجب هيا . . وبلا كثرة كلام . . فإن الذي مثلك يرغم أنفه لا أن ينزل رأسه فقط . .
أنزل رأسك لأكلمك هيا . .
(الحاجب يدنو من الفأر وهو ينزل رأسه إليه . .
ويقول : ماذا تريد بسرعة . .)

الفأر : أتريد أن تعرف ماذا تكون أنت . ؟؟

الحاجب : ماذا أكون أنا يافأر . ؟؟

- في هذه الأثناء يدخل القاضي مع المستشارين -

الفأر : سأخبرك بعد أن يصدر القاضي الحكم . . .

القاضي : بعد الرجوع إلى المادة (١١٨) من القانون . . المتعلق (بالحيوان) واستناداً إلى الفقرة (٩٩) منه . .

فإن المحكمة تحكم بحبس المتهم في احدى مخازن الدول العربية المعهودة (بالحرائق قبل الجرد السنوي) . .

كما تأمر المحكمة كذلك بإزالة جميع الصور المتعلقة (بالفئران) من جميع طرق وشوارع العالم العربي .

مع دفع تعويض ، كيس رز بشاور وارد باكستان ، وكيس (باجلا مصري) وعدد اثنين باب ساج هندي ، وعشرة أجواز نعال ايطالي ، وخمسة أجواز (حذاء بوتين ايراني). كرد اعتبار للفأر المسكين هذا .

هـذا وقـد حكمت المحكمـة حضـوريـا بحبس (الجزار ابن الجزار) الحاجب (٢١) يوما على ذمة التحقيق . . . . رفعت الجلسة . .

الفـأر . . . يقفز من مكـانه فـرحـا وهـو يقـول للحــاجب : أتـريــد أن تعــرف من أنت يــا «جزار» . ؟؟

الحاجب بكل أسى : من أنا يافأر يامسكين . . ؟؟

الفأر : أنت صورة حية لواقع عربي مر . . . !!

* (انتهــــت) *





عند وجود اي اقتراح او ملاحظة يرجى
مراسلة المؤلف على العنوان التالي
الكويت ـ الشامية ص.ب : ١٢٤٥٣
الرمز البريدي 71655

شركة مطبعة الجذور ذ.م.م
تلفون : ٨١٩٦٠٧ - ٨٣١٣٦٧

شركة مطبعة الجذور ذ.م.م
تلفون : ٨١٩٦٠٧ - ٨٢١٣٩٧